السنة الرابعة عشرة　　عدد ١　　كانون الثاني ١٩١١

المشرق

تاريخ سنتنا الجديدة

تلطّف حضرة الخوري نقولا أبو هنا الراهب المخلّصي فأتحف المجلة بتاريخ لسنتنا الجديدة فها نحن نثبته في صدرها شاكرين:

بمشرقنا لاحت مجلّةُ مشرقٍ　　فطالعُ خيرِ العلم في خير مطلعِ
تمدُّ ضياء الدين منها أشعّةٌ　　تُزيقُ عن وجه الهدى كلَّ بُرقعِ
قناةٌ عليها الحقيقةِ صبيرةٌ　　متى يلقها طرفُ الضلالةِ يَخشعِ
لقد وقفت للزائغين بمرصدٍ　　فيا ويلَهم من قصدها المتوقَّعِ
وقد بلغت كالبدرِ عمرًا فأحرزت　　كمالًا بإذن الله غير مضيَّعِ
فدونكَ نورَ الحقِّ أرّخ بوجهها　　تجلّت به في سنِّ عشرٍ وأربعِ

١٩١١

نظر في احوال العام المنصرم

للاب لويس رزقلّه اليسوعي

يدخل المرء في كل سنة جديدة وهو يؤمّل منها خيراً اوفر من السنة التي سبقتها الّا انّ السنين تتوالى ويتوالى معها الشرّ والخير في جهاد متواصل فيظهر فضل الخير بتاصيته الشرّ وبكسر شوكته. وهذه السنة التي قضى بها الخالق قد تحقّقت في العام الماضي في امور الدين والدنيا كما سترى

١ احوال الدين

يدعي الكنيسة اعداء كثيرون لكنّ الله قد اقام لتدبيرها رجلاً هماماً عاملاً محنّكاً في الامور صائب الرأي متوقّد الفكر فلا يكاد يرى الداء الّا عاجلهُ بالدواء او حسمهُ من اصله. فكلّما حاول العدوّ اختراع حيل جديدة ليوقع ابناء الله في حبائله اسرع الحبر الاعظم ووجّه الانظار الى الاخطار المحدقة بهم. وهذه نخصّ الحوادث الدينيّة التي جرت في السنة المنقضية فمنها محزنة ومنها سارّة. فها نحن نروي منها في هذا الباب الاوّل ما ليس لهُ علاقة خاصّة بسياسة الدول مؤجّلين ما يرتبط منها ببعض البلاد الى الباب الثاني

استبشر اهل الاخيار في اوائل السنة ١٩١٠ باصطلاح الامور الدينيّة في ثاتزوية واعادة العلائق الرسميّة بين جمهوريتها والكرسي الرسولي

بيد انّ هذه الافراح عقبها بعد قليل حوادث كدّرت قلب ابي المؤمنين فانّ اهل الثورة واعداء الدين اقاموا في ٣١ شباط في عاصمة الكثلكة حفلة لتمجيد جوردانو برونو وهو الراهب الزنديق الذي دنّس ثوبه الرهبانيّ بآثامه في القرن السادس عشر فحُكم عليه بالموت شرعيًا

وفي نيسان حدثت مع الفاتيكان مسئلة روزفلت الرئيس السابق على الولايات المتّحدة فتطلّعت بها الجرائد منةً على عادتها وخلطت في رواياتها ما شاءت حتّى ... اذ اتّضح الحقّ وزهق الباطل ودونك تفصيل الامور على وجهها

كلٌّ يعلم انَّ في رومية قوماً من بدعة البروتستانت المعروفين بالمثوديست لا هم لهم غير الطعن على الكنيسة والقدح في ائمة الاحبار ينشرون في المدينة التآليف السمجة والتصاوير الشنيعة والاوراق الجوبيَّة ليحطّوا من قدر رأس البيعة. وكانوا سيتروا فرشحوا في بعض الاعوام بفيربنكس (Fairbanks) نائب رئيس الولايات المتحدة ليهيّجوا الرأي العامّ على نائب المسيح. فكان شرف الكرسي الرسولي يستدعي ان لا يعود روزفلت الى مثل هذه الاعمال المستقبحة فيحلّ في دار اولئك المعتدين. لمّا طلب ثلاثاً ان يزور البلاط لم يجب بيوس العاشر الى ملتمسهِ ما لم يعد بانَّهُ لن يذهب الى زيارة المثوديست وهو ليس من شيعتهم. فأبى روزفلت ان يقيّد نفسهُ بمثل هذا الوعد فارسل الحبر الاعظم اليهِ رسالةً أبدى فيها اسفهُ على عدم استطاعتهِ لاستقبالهِ. على انَّ روزفلت لم يزُر المثوديست بعد ذلك لكنَّهُ اساء العمل باختلاطهِ مع الشيعة الماسونيَّة وغضَّ بفعلهِ من كرامة الحبر الاعظم في حاضرتهِ فبيَّن للجميع انَّ البابا احسن بعدم استقبالهِ. وما كانت هذه غلطةَ روزفلت الاولى بل كان اتهم عليهِ المصريين قبلاً فجرح عواطفهم بخطبهِ ثم سار الى باريس فاساء الادب بانتقادهِ لامور الحكومة وتبكيتهِ جهاراً على اعمالها مدّعياً انَّ بلادهُ اعلم من سواها باحكام الاخاء والمساواة. كأنَّ الاميركيين لم يسهوا عن تلك المبادئ وهم الذين قتلوا بعد ذلك بزمنٍ قليلٍ عدداً وافراً من العبيد لأنَّ الاسود جاك جونسن كان غلب بالملاكمة الابيضَ جفريس!! على انَّ مواطني روزفلت ما لبثوا ان لاموهُ على تطاولهِ في تكبّرهِ وعدلوا عنهُ في الانتخابات الاخيرة

وبينما كان شيخ الفاتيكان محتجّاً على الاهانة اللاحقة بمقامهِ من قبل رئيس الولايات المتحدة السابق اخذت امور اسبانية ترتبك وتختلط متهدّدةً لاحوال الدين في تلك الدولة الكاثوليكيَّة. يذكر قرّاؤنا ما اتت بهِ الشيعة الماسونيَّة من الهيجان والثورة بعد ان حُكم بالاعدام على احد زعمائها الأئمة اعني فرير فكأنَّ تلك الفتن اوجبت للملك الفنس الثالث عشر فزعاً فعدل عن خطتهِ في مقاومة الفوضى املاً منهُ ان ينال السلام بتضحية حزب السلم والنظام لاعداء الدين. ففي ٩ شباط قدّمت وزارة مورة الحرَّة استعفاءها فقام في النيابة عنهُ الوزير كناليجس وذووهُ المجاهر بعد مدَّةٍ بمعاداتهِ للكنيسة. ولمَّا جرت انتخابات مجلس الكورتس في شهر

أيار تالت الحكومة الاغلبيّة فبلغ عدد الاحرار ٢٢٧ بعد ان كانوا ١٠٣ فقط بخلاف المحافظين الذين هبط عددهم من ٢٤٠ الى ١٠٥ وصار الجمهوريون ٤٣ بزيادة ١٢ على الوزارة السابقة وظلّت بقيّة الاحزاب على حالها قليلة العدد. امّا مجلس الاعيان فكان اقلّ تطرّفًا. على ان الكلّ كانوا يتوقّعون حدوث امور مخلّة بالدين فتحقّق ظنّهم بعد امد قريب ففي ٢٨ أيار نشر لسان الملكة الاسبانية تقريرًا اثبترا فيه شرعيّة الجمعيّات الرهبانيّة فعارضهم كاناليجس في ٣١ منه بقرار اعلن فيه تنفيذ حكم سنة ١٩٠٢ الصادر في حقّ الرهبانيّات يلزمها بطلب الرخصة لكلّة وتتنزم يجب بالعمل. وفي حزيران صدر أمر ملكي منافٍ للمعاهدة المبرمة بين الكرسي الرسولي واسبانية في ١٦ آذار ١٨٥٠ والمجدّدة بحكم سنة ١٨٧٦ فتساهل مع الغير الكاثوليك ورخّص لهم بالمظاهرات الدينيّة. وفي ١٥ منه صار افتتاح دار الندوة فاعلن الملك في خطابه بسياسة الحكومة العلمانيّة فاستدعى ذلك احتجاجًا على الوزارة من قبل ارباب الاكليروس باسم كردينال طليطلة و٦٣ اسقفًا. . لكنّ الحكومة لم تكترث لهذا الاحتجاج ففي تاريخ ١ تموز قرّر رئيس الوزارة الغاء القسم الديني وجعل عوضًا عنه صورة وعد بسيط

فاسعرت هذه الاعمال نار الحرب بين الحكومة واهل الدين ففي ٣ تموز قام الكاثوليك بمظاهرة مهيبة في وجه اعداء الدين. امّا كاناليجس فانّه زاد خبثًا وعتوًّا ونشر في ٨ منه امرًا عُرف «بقضيّة القفل» حظر بموجبه على الجمعيّات الرهبانيّة الجديدة ان تتألّف في اسبانية ريثما تحلّ مسألة الرهبانيّات. فاقام الكرسي الرسولي حجّة على هذا الفعل المخالف لعهد الكنيسة والدولة فرفض الوزير وانقطعت العلاقات بين رومية واسبانية واستدعي في غرّة آب سفير المملكة السيد دي اوخيدا (de Ojeda) الى مدريد . فكان ذلك داعيًا الى استياء الكاثوليك الذين عزموا على المظاهرات العلنيّة وما كانوا ليرعووا لولا اوامر اساقفتهم. وما لبث الفاتيكان ان ارسل في ٢٨ آب الى الملك رقيمًا يبيّن فيه مخالفة كاناليجس لكلّ الاصول الشرعيّة وبطلان مدّعياته. امّا الكاثوليك فلم يعُد يمكنهم ان يغضّوا على القذى وقامت جمعيّة مقاطعة بسكايا بتنظيم مظاهرات واسعة تُعلن بتحالف الكاثوليك وحزنهم في كل انحاء الدولة. فخاف الملك القلق من سوء العقبى وسلّم الامر لوزيره ورجال

الى فرنسة وانكلترة. وما مرَّ على الكاثوليك بضعة أيام حتى اجروا مظاهراتهم السلميَّة بأتفاقهم مع اساقفتهم وكهنتهم وبرخصة الحكومة نفسها. فلمَّا كان يوم عيد الورديَّة المقدَّسة في ٢ تشرين الاوَّل قامت اسبانية الكاثوليكية في كل اطراف البلاد بمجالي دينيَّة قلَّما يُذكر مثلها في بطون التاريخ فكان الشعب في كل مدينة يخرج صفوفاً مؤلَّفة يَزدحم فيها الصغار والكبار النساء والرجال دون صبغة سياسيَّة وكلُّهم يسيرون منشدين الاغاني الدينيَّة الحماسيَّة وفي ايديهم الورديَّة يتلونها بحرارة الشهداء. فكانوا اذا وصلوا الى مكان معيَّن يحلقون حول مذبح أُقيم في ساحة رحبة فيحضرون الذبيحة الالهيَّة ويقسمون قسماً محرجاً أنهم يبقون على ايمانهم ثابتين في دين المسيح وحبّ العذراء مريم والطاعة للحبر الاعظم. وقد ناف عدد المتظاهرين في بعض المدن الكبرى على المئة الف. وفي بعض الامكنة سعى اصحاب الفوضى ان يتعرَّضوا للكاثوليك فذهبت مساعيهم ادراج الرياح وقد ابدى كثيرون من الغرباء إعجابهم بإيمان الاسبانيين حتى انَّ محرّر جريدة سان سبستيان الفرنسويَّة اعلن جهاراً بان الحكومة سيصيبها الفشل ان كانت تعادي الكاثوليك

وكان اهل اسبانية قبل ذلك بشهر في ٧ ايلول عقدوا في ڤيش مؤتمراً احتفلوا فيه بذكر مولد احد كبار رجالهم في القرن الماضي جاك بلميس (D. Balmès) الكاهن الجليل والفيلسوف العظيم. وكان كاثوليك كنده في الوقت عينه يبهجون نظر الله بتظاهرات مؤتمرهم القرباني الذي سنذكره آنفاً

والحادث الآخر الذي آلم قلب ابي المؤمنين هو الانقلاب الذي حصل في البرتغال بمباني الشيعة الماسونيَّة التي جاءت بشاهد جديد على معاداتها للدين. وقد أطلعنا في محضره المشرق قرّاءنا على حقيقة تلك الوقائع المحزنة وما اتاهُ احدهما من الاعمال القبيحة والسوداء لوجه التمدن مع ما اختلقوهُ من الاكاذيب على ارباب الدين والرهبان. وقد وردت علينا بعد ذلك رسائل متواترة يصف فيها اصحابها ما قاساهُ الرهبان اليسوعيُّون من اصناف الهوان والمصادرات عند أسرهم وفي ايام سجنهم فعوملوا اسوأ معاملة حتى انَّ رئيس البرتغال الحالي حضرة الاب كبرال اقام الحجَّة عنّا بلسان الصحافة على الذين اقترفوا هذه المساوي نحو رهبانهِ وهم كلُّهم رجال فضل وفضيلة وعلم واسع لم يتقدموا منذ نيف وخمسين سنة على

ادنى عمل يستوجب الملام في اعين الحكومة او الشعب. ومن ثمَّ ما كان للجمهوريين من داعٍ الى تلك المعاملات غير بغضهم للدين

وقد كذب الذين صوّروا اليسوعيين البرتغاليين كساسة الدولة وخابئي السلطة الملكيّة فانّهُ كان معروفًا لدى الخاصّ والعامّ ان اليسوعيين لم يتداخلوا في شيءٍ من امور السياسة بل يحيدون عنها طاقة جهدهم حتى كاد الناس ان يعتبروهم كاجانب اكثر منهم كوطنيين فكانوا لا يدخلون على الملك الّا في الأيام الرسميّة مع غيرهم. ولمّا طلبت الملكة اميلي كمرشد لِذمّتها احدَ الآباء اليسوعيين احالوها الى غيرهم فتولّى ارشادها احد الآباء الدومنيكيين ثمَّ الاب فراك اللعازري الذي قُتل في الثورة الاخيرة. ولمّا كان الاب كبرال السابق ذكرهُ في ايام رئاستهِ على مدرسة كمبوليد ذهب مرّةً الى بلاط الملك كرلوس قبل موتهِ بقليل ليشكرهُ عن هديّة تآليفهِ التي ارسلها اليهِ متلطِّفًا ثمَّ قدّم لهُ بدلًا منها مصنّفاتهِ الشخصيّة. وبعد ذلك بأيام جاء الى المدرسة المذكورة وليُّ عهد الملك مع اخيهِ مانويل لحضرا حفلةً ادبيةً اقامها الطلبة. ومنذ تولّى مانويل الثاني لم يجرِ بينهُ وبين اليسوعيين مواصلات مذكورة غير انّهُ حضر الذبيحة المقدّسة في مدرستهم في بومنت اذ كان متجوّلًا في انكلترة. فليت شعري اهذه هي اعمال سياسيّة يستحقّ بها اليسوعيون نقمة الجمهوريّة حتى تلقيهم في السجن وتحكم عليهم بالنفي المؤبّد وتستصفي كل اموالهم كأنّهم ارتكبوا اقبح الجنايات وهم منذ نصف قرن لم يأتوا غير الاعمال المشكورة من تهذيب الشبيبة بالآداب والمعارف والقاء المواعظ وارشاد الجهّال ووضع التآليف الدينيّة والعلميّة

تلك هي حرّية جمهوريي البرتغال واخاؤهم ومساواتهم. أَو ما كان اولى بهم ان يعرفوا الفرق من حريق ونهب مدرسة سُرْبال وادْيرة الرهبان والمكاتب النفيسة التي كانوا جمعوها بثمن الثمن لنشر العلوم. وقد اقرَّ اعداء اليسوعيين انفسهم بما اداهُ اولئك الرهبان من الخدم الجليلة التي تضيق هذه الصفحات عن تعدادها ولا نذكر هنا سوى امرٍ واحدٍ ينطق بلسان حالهِ عن اعتبار خصوم آثرهم العلمية. ان الاب طوران احد اساتذة مدرسة كمبوليد كان اكتشف نوعًا من القطن بحث فيهِ ابحاثًا دقيقةً اذاعت صيتهُ بين رجال العلم الاختصاصيين فلمّا أُلقي في الحبس مع اخوتهِ الرهبان طلب اليهِ زعيم الثورة افونسو كوستا ان يواصل المجاثة العلميَّة على

نقمة الجمهوريّة وكاهد لسانتهُ كيّة الحكومة على شرط ان ينفصل عن الرهبانيّة اليسوعيّة فكان جوابهُ كجواب الاب سكي في رومية لمّا ضبط الايطاليّون مرصده: فيا انهُ يحيا ويموت مع اخوتهِ

هذا ولا نعود الى اثبات ما قرّرناهُ في مقالتنا السابقة « صدق المقال في ثورة البرتغال » بانّ هذا الانقلاب كان عمل الماسونية وقد جاءت على ذلك شواهد جديدة لا تبقي ريباً في الامر فان جريدة « ماتين » الفرنسويّة في عدد ٢٧ تموز كانت وصفت وصفاً مدققاً الاحزاب السرّيّة التي أُنشئت لهذه الغاية مع فروعها وحلقاتها ورموزها ودسائسها واقسامها المحرّجة تحت ادارة رؤساء مجهولين بحيث لم يمكن أُفونسو كوستا تنبّأ بالامر شهراً قبل وقوعهِ وذكر صريحاً بانّ الثورة سوف تقتل من لا بدّ من قتلهم وانّها ستكون « حيةً لطيفة » . فيا حبّذا اللطف واللين فانّ قتل الابرياء ونهب دورهم وحبسهم ونفيهم فكل ذلك تعدّهُ الماسونيّة امراً « حياً لطيفاً » .

فليت شعري لو كان وُجد كلام مثل هذا في تآليف احد اليسوعيين لاوسعوا الرهبانيّة كلّها شتماً وسربلوها العار ولستأصلوا شأفتها . امّا الماسون فانّهم يثيرون كل الثورات ويشعبون كل الشاغب ويأتون كل المحظورات والمآثم ويتشدّقون مع هذا بالحرّيّة والاخاء والمساواة . زه ازه !

ألّا انّ اصحاب الثورة لم يتبنّأوا بعدُ بثمرة مكايدهم فانّهم بعد ان اسعروا نيران الفتن وساقوا لسافل القوم الى الهيجان لم يعودوا قادرين على قهر جماح الشعب الذي جعل اليوم يطلب حقّهُ من تدبير الجمهوريّة ولا يرضى بانّ الذين استعانوا به للفوز على الراهب يستبدّون بالمراتب او يوزعوها على من لم يعترف بالجمهوريّة الّا بعد الثورة . فلا يبقى لاصحاب البرتغال غير ان يرفعوا الى الله أكفّ الدعاء ليرحم الأمّة البرتغاليّة وينجّيها من مخالب اعدائها

ونعلم العلم الاكيد انّ الحبر الاعظم لدى استماعهِ بهذه الاخبار السيّئة انفطر قلبهُ حزناً . وكان قبل ذلك بخمسة عشر يوماً فاه من قبل الماسونية عوانٌ آخر لمّا خطب اليهودي والماسوني ناثان حاكم رومية في ٢٠ ايلول يوم دخول الطليان الى ام المدائن فشحن خطابهُ باقذع الشتائم واشنع السبّات في حقّ امام الاحبار والسيّد المسيح الذي ينوب عنهُ البابا في الارض . فكان لكلامهِ البذيّ لسوأ وقع في صدر

بيوس العاشر والعالم الكاثوليكي باجمعه . فما لبث ابو نومثين أن اقام الحجة على رأس الملأ في رسالة علنية وجّهها الى وكيله الكردينال رسبيغي ونشرتها جريدة الاوسرفاتوري رومانو في ٢٣ منه . ثم وردت الاحتجاجات متواترة من كل انحاء المعمور على ذلك الخطاب الفتي السافل ومثلهم صنع نائب حاكم بلدية فيننا في جمعية حافلة حضرها وجوه العاصمة فوسم خطيب رومية بسمة السخافة وسربلة العار . بل احتج على اليهودي قوم من غير الكاثوليك وكان مسك الختام احتجاج الجنرال بلو (Pelloux) احد رؤساء الوزارة الايطالية سابقاً واحد ضباط الجيش اليامنتي الذي فتح ثغر « بورتابيا » فكتب الى لوزاتي رئيس الوزارة مقرّعاً للحكومة على سكوتها عن جراءة حاكم رومية وقحته ونسيان الايطاليين لقانون الضمانات التي تعهّدوا بحفظها نحو الكرسي الرسولي واعلن انه سيناقش الحكومة على هذا الخال

ولعلّ هذه الاهانة نحو شيخ الفاتيكان لم تكن سوى اخذ ثار الماسونية على ما بلغها من انتصار الكثلكة في مؤتمر مَنريال القرباني الذي روى تفاصيل اخباره البشير في عدديه الصادرين في ٢٤ ايلول وغرّة ت ١ . وكانت الماسونية وقفت لهذا المؤتمر بالمرصاد واعدّت في اثقلة مناجيقها لترمية بقذ نفها فتوسّلت لادراك غرضها بوسائل الدهاء والخبث كأُلوف عادتها لترمي الشكوك وتبذر الاكاذيب في حق ارباب الكنيسة فانكشفت « طبخُتها » وافتضحت سرائرها فقام اهل كندا متناصرين متعاضدين ليُتمّوا كلّ الشيعة ويصونوا عن سيئها بلادهم ومدارسهم

اما حفلات المؤتمر القرباني فبلغت من البهاء والرونق والجلال والتحشّع الديني ما يجعلها في مصاف افخم التظاهرات التي تُوِّجت بها مفرق القرن المنصرم والجيل الحاضر وهي تشهد على قوّة الشعوب وترقيها في معارج الفلاح اذا بقيت على سلامتها وغريزتها الطيبة فلم تنخرها دودة الماسونية وينفخ فيها روح الكفر والزندقة . ففي ٧ ايلول ضاقت كاتدرائية مَنريال برحبها عن عدد الجماهير المجمهرة فتقدم عشرة آلاف رجل الى المائدة الالهية . وفي ١٠ منه أُقيم قداس حافل حضره مائتا الف شخص . وفي ١١ منه خُتم المؤتمر بطواف عظيم لاكرام القربان المقدّس حضره اكثر من خمسمائة الف نفس وطاف فيه ١٥٠,٠٠٠ مؤمن فرتجت الارض بوطء اقدامهم ودوت انحاء الجو باصوات صلواتهم واناشيدهم الدينية وكان يتبع المؤمنين اجواق

الكنيسة في عدد ١٨٠٠ ثم لاساقفة ورؤساء الاساقفة والكرادلة لا يقلّون عن ١٢٥ في اثرهم قاصد الحبر الاعظم الكردينال فانوتلي الذي بارك باقربان ذلك البحر المتموّج المؤلَّف من رؤوس بشريَّة انحنت خاشعة امام ربّها

ومما اولى اصحاب المؤتمر في منريال تعزيةً وارتياحاً انهم اقاموا حفلاتهم لاوّل مرّة بعد الغاء ما كان ملوك انكلترة يتفوّهون به في قسمهم الرسمي من نكران سرّ القربان الاقدس فيجرحون بذلك حاسّيات رعاياهم الكاثوليك. فارسل القاصد الرسولي باسم الحضور تلغرافاً رفع فيهِ الى الملك جورج الخامس تشكّرات المؤتمر بلسرور. والحقّ يقال انّ الملك السابق ادوارد السابع لم يتلُ ذلك القسم الّا مرغوماً لما كان يكنّهُ صدرهُ من الاعتبار لرأس الكنيسة الكاثوليكية ومن سموّ الالتفات الى لبنانيا كما ظهر منهُ غير مرّة. فمنذ السنة ١٩٠١ سعى لدى مجلسي بريطانية العظمى بان تُلغى تلك الالفاظ المهينة. ولمّا عاجلهُ الموت قبل ادراك غايتهِ صرَّح خلفهُ جلالة الملك جورج بأنهُ يرغب تحرير القسم رغبةً حارّة. فعُرض الامر على بساط المباحثة في مجلس الندوة ثلاث مرّات في ٢٠ حزيران وفي يومي ٢١ و ٢٩ تموز فكانت الاغلبية الكبيرة موافقة لمذهب الكاثوليك. امّا مجلس الاعيان فلم يكد يضادّ المشروع منهم الّا بعض الافراد فكان نجاز مصادقتهم على التحرير المذكور في ٢ آب وبذلك نال الكاثوليك شيئاً مما بخستهُ البروتستانية من حقوقهم ولم يُعد عاهل انكلترة يعتبرهم في قسمهِ كوثنيّين او عَبَدة خرافات

وهنا لا بدّ من تنبيه القرّاء على تقدّم انكلترة سنةً بعد سنة في طريق التساهل الديني بعد تعصّب القديم ضدّ الكنيسة الرومانية. ومن مجالي الكثلكة في العام الماضي في بريطانية العظمى المؤتمر القربانيّ الاول الذي عقدهُ كاثوليك الانكليز في ليدس فترأسهُ جثليق انكلترة الكردينال بورن واللورد حاكم الندوة الكاثوليكي ي. كنيل (J. Knill) . ومما اتّفق عليهِ اعضاء المؤتمر ان يسعوا في الغاء بعض الامتيازات الشرعيَّة المستثنى منها الكاثوليك حتى اليوم كاختصاص البروتستانت برتبة لورد كنشيلر الدولة ورتبة لورد نائب الملك على ارلندة. ومما ابهج الكاثوليك الانكليز اهتداء خمسة من كهنة البروتستانت الى حجر الكنيسة في وقت واحد

فظهر بذلك انّ قوّة الجاذبيّة في الدين الكاثوليكي لا تزال تعمل عملها في قلوب البروتستانت. وفي الجدول الآتي ما ينبئك عن ترقّي الكثلكة في انكلترة منذ خمسين سنة :

السنة	عدد الكنائس	عدد الكهنة	عدد المدارس	عدد الدارسين
١٨٦٠	٥٨٧	٧٨٨	٩٩	١١,٠٠٠
١٩١٠	١٧٦٠	٣٦٨٧	١٠٦٤	٣٣٣,٠٠٠
الزيادة	١١٧٣	٢٨٩٩	٩٦٥	٣٢٢,٠٠٠

فترى انّ الله لم يهمل كنيسته ويعزّي قلب نائبه على الارض في وسط الضيقات والبلايا لا بل تزيد هذه المكاره بنعمة الله قوّة وغوًّا شأن الانواء والزوابع التي تمدّ في اعماق الارض جذور الشجرة وتنقل بذورها الى البعيد. فليس على الشعب المسيحي الّا ان يتبع راعيه فهو يقوده الى المناجع الطيّبة وينجّيه من مخالب كل الوحوش الضارية

ولعمري انّ امام الاحبار لا يدع فرصةً لينعش فيها روح التُّقى في المؤمنين ويستنهض هممهم ليزيدوا غيرةً وصلاحاً. وهذا فعلهُ مع الاساقفة والرُّعاة كما فعل في ٢٦ ايار برسالته التي بدؤها « Editæ sæpe Dei » في تذكار المئة الثالثة لتقديس كرلوس بوروماوس رئيس اساقفة ميلان ونابغة الكهنوت في عصره فانّهُ عرضهُ عليهم كمثال الراعي الصالح الذي ضحّى نفسهُ في سبيل قطيعه ليصونهُ من وباء الاضاليل التي فشت في عهده. فكان لكلام البابا احسن وقع في القلوب الّا انّ اعداء الكنيسة حملوا هذا الكلام على غير معناه فهيّجوا رأي البروتستانت الالمان على الكاثوليك وكاد يتفاقم الصدع بينهم لولا انّ للحبر الاعظم بلسان وزير دولته الكردينال مري دلفال أكّد للحكومة الالمانيّة انهُ لم يقصد في كلامه غايةً سياسيّةً ولم يتعدَّ في شيء الخطّة الدينيّة. فازال هذا التبليغ كل سوء تفاهم وأفحم كل المعادين فخاب املهم في التقسيم بين الكاثوليك وحزب اليمين في مجلسي النوّاب والاعيان

وفي ٨ آب اثبت الحبر الاعظم قراراً في المناولة الاولى اصدرهُ مجمع الاسرار الروماني فجملة كتتمّة لتقريره السابق المؤرخ في ٢٥ ك ١ سنة ١٩٠٥ في شأن المناولة اليوميّة. امّا موضوع القرار الجديد فمدارهُ على سنّ المناولة الاولى التي اعتادت

بعض الكنائس ان تؤجّلها الى العاشرة او الثانية عشرة من سني اعمار الاطفال . فقرّر البابا بيوس وفقاً لعادات الكنيسة الاولى ولقانون المجمع اللاتراني الرابع (سنة ١٢٥١) أنّهُ «يتحتّم على الاحداث ان يتقرّبوا عند بلوغهم سنّ التمييز لئلا يُحرَموا من ذلك الخبز الجوهريّ الذي هو سند المؤمنين وقوتهم اليومي في جهاد الحياة» . فحقّق الحبر الاعظم بهذا المنشور الشعار الذي توخّاهُ يوم تبوّأ على كرسي الخلافة البطرسيّة بان «يجدّد كل شيء في المسيح» (افسس ١ : ١٠) . ولا غروَ ان يصدق فيهِ ما سبق السيّد الجليل دي سيغور (Mgr. de Ségur) فتنبّأ بهِ قائلاً : «انّ البابا الذي سيلهمهُ الروح القدس فيوصي بالمناولة اليوميّة سوف يجدّد العالم ويحييهِ» . فبقي على الاساقفة وكافة رعاة النفوس شرقاً وغرباً ان يجاروا الحبر الاعظم في غيرتهِ ويمهّدوا الطريق لتعميم هذه العادة الحميدة حيثما امكنهم

هذا وانّ الراعي لا يجتزئ بان يقود خرافهُ الى المناجع المريئة والمناهل العذبة لكنّهُ قابضٌ ايضاً على العصا ليهزم الضواري المتهدّدة لقطيعهِ او يردّ الشارد من حملانهِ الى الحظيرة وذلك ما صنعهُ آخراً راعي النفوس اذ رأى جماعةً من الكاثوليك يُعرَفون بالسيليون (le Sillon) يتّخذون في جهادهم ضدّ الكفر وسائط مغايرة لتعاليم الكنيسة ومخالفة للعادة فوقع بين اساقفة فرنسة بعض الارتياب في امر هذه العصبة فكان بعضهم كالسيّد ميغنو (Mgr Mignot) اسقف ألبي يستصوب اعمالها على عكس الكردينال اندريو رئيس اساقفة بوردو . فحسماً للخلاف كتب الحبر الاعظم رسالة الى اساقفة فرنسة خطّأ فيها اصحاب السيليون وجريدتهم المعروفة بيقظة الشعب (l'Eveil Démocratique) وحتم عليهم بان لا يحيدوا عن تدبير اساقفتهم ويخضعوا الى رعاتهم وامر كتبة الجريدة ان يبطلوا جريدتهم او يجروا على غير خطّتهم السابقة . فما بلغت هذه الاوامر الى يد رئيس الجماعة السيو مرك سانيه (Marc Sangnier) حتى اسرع واعلن بخضوعهِ التامّ لمشيئة كبير الاحبار وهكذا فعل معظم اصحابهِ فكانت طاعتهم موضوع الاعجاب العمومي وسبب سخطٍ عظيم لمناهضي الكنيسة

وقد التجأ راعي الرعاة الى عصاتهِ في امر آخر نريد الاضاليل العصريّة (le modernisme) التي كان قداسة البابا سبق فشجبها في براءتهِ «Pascendi» واوقف

الاستدلالات على دخائلها فباح للمتدعون لمقاومة الحبر الاعظم ثمَّ عدلوا الى السكوت لينشروا آراءهم سرًّا فجعلوا يبثُّون في ايطالية وللمانية وفرنسة التآليف المختلفة والصحائف الطيّارة والرسائل السرّيّة وغير ذلك فبادر الاب الاقدس الى كسر شوكتهم ببراءة بدؤها « Sacrorum Antistitum » استطهم فيها عن اسرارهم وامر امرًا لازبًا كل اساتذة الدروس العليا والواعظين ومعلّمي الذمَّة بان يقسموا منذ السنة الحاليّة قسمًا محرّجًا يرذلون فيه تعاليم العصريين. وكذلك تقدَّم قداستهُ الى طلبة المدارس الاكليريكيَّة ان يكفّوا مدَّة دروسهم عن قراءة الجرائد والمجلّات حتى احسنها لينقطعوا الى العلوم الواسعة التي يحتاجون الى حفظها والتعمّق في موادّها. وقد أيد الحبر الاعظم حكمهُ هذا بقرار آخر الى السيّد ديكرتنس M. G. (Decurtins) رذل فيه مذهب هؤلاء العصريين في كتاباتهم الادبيَّة وذلك في ١٠ ايلول

فترى انَّ ربَّان السفينة البطرسيَّة لا يزال مراقبًا لاحوال الجوّ حذرًا من كل خطر يُلمُّ بالدين وكلت اليه حراستهم فلا جرم انَّ الله خصَّ كنيستهُ ببابا عظيم يفتخر به كل العالم الكاثوليكي. ولم يقصر قداستهُ نظرهُ الى الدين والآداب فانَّهُ يبذل ايضًا جهدهُ في ترقية العلوم والمعارف البشريَّة ايضًا كما يدلُّ عليهِ المرصد الفلكي الذي صار تدشينهُ في الفاتيكان في ١٧ تشرين الاوَّل. وهذا المرصد قد عهد بتدبيره الى الاب هاكن اليسوعي احد خلفاء الاب سكّي في العلوم الفلكيَّة في زماننا وقد اثنى الحبر الاعظم على همَّته غير مرَّة كما اطرأ معارفهُ الفلكيَّة ائمَّة علماء عصرنا

احوال الدنيا

قبل ان نستقري احوال الدول ونتتبَّع ماجريات كل منها في العام المنصرم يحسن بنا ان نلقي عليها نظرًا عموميًا يكون كخلاصة سياستها

لا يُنكر انَّ الريح التي تهبُّ على الدول انما هي ريح الاستقلال فانَّ الازمة الدستوريَّة تتهدّد اكبر الدول. فهذه انكلترة التي كانت حتى اليوم تُشاهد الدول وصيفاتها ينقلبن ظهرًا لبطن وهي راسخة القدم لا تزعزعها انواء الثورة قد اصبحت اليوم عُرضةً للتقلُّبات السياسيَّة فانَّ طبقاتها السافلة نهضت نهضة الاسد الرابض

تطلب حصتها من الامتيازات التي تفرّدت بها الاعيان فكأنها تُعلن بتلك حقوق الانسان التي نادى بها الفرنسويون سنة ١٧٨٩ . والمظنون انها ستفوز عاجلاً او آجلاً بطلباتها ورجاؤنا ان تنتهي هذه الازمة دون أن تُهرق الدماء كما جرى في فرنسة

وقد حصل مثل هذا النفور بين طبقات الدولة في المانية ولاسيما في بروسية بمساعي الاشتراكيين الّا انّ الأزمة الالمانية اقتصاديّة اكثر منها دستوريّة على ان صدلها سيكون له فعل انعكاس في نفس المجلس العمومي وان تمّ بتحرير التصويت العامّ كما يطلبه الفوضويون زلزل ذلك اركان العرش الملكي

وان زدتَ على هذا ثورة البرتغال وانتصار الديموقراطيين في انتخابات الولايات المتحدة والفتن التي وقعت في جمهوريّتي المكسيك والبرازيل وجدت ان الديموقراطية تتقدم وتسير مع ما تسحبهُ وراءها من تهديدات الاشتراكيين والفوضى

هذا ولا تزال شبه جزيرة البلقان كنقطة الدائرة ومركز السياسة الاوربيّة العامّة . فبعد وقوع تلك المخاصمات بين الدولة العلية واليونان التي اقلقت الرأي العام بسبب كريت فجعل روّاد السلام يسعون بعقد محالفة الدول البلقانية تحت نظارة التحالف الثلاثي الذي انتظمت في سلكهِ تركيا اقلّه فعلاً كما يظهر لاسيما بعد هبوط القرض المؤمَّل في فرنسة . على انّ تلك الدول مع رغبتها في انضمام الكتلة والاتحاد التام لا تزال مرتابة في امرائها باحثة عن توطيد موازنتها فبعد أن تقرَّبت رومانية من الدولة العثمانية رأت بلغارية ان صالحها يقضي عليها بنسيان ما في صدورها من الحزازات نحو اليونان فتصافحها بوداد . وقد سعت بان تسحب معها دولة السرب . ومجمل القول انّ الدول كلها تتصرَّخ السلام السلام وكلها تستعدُّ للحرب استعداداً حثيثاً . فمن مدة شهرين بلغ الفجعة انّ انكلترة اعلنت بامتحان مدافع اكبر من مدافع « دريد نوتس » البالغة سعتها ٣٠٥ مليمترات فأعلنت النمسة بانهُ ينبغي عليها تحوير السفن التي أمرت بتسييرها . وترى المتحالفين انفسهم يقلقون ويحذرون بعضهم من بعض فان ايطالية اوعزت بتحصينات ثغورها من جهة البندقيّة فاحنق ذلك عليها النمسة . وكذلك نفرت ايطالية مما بلغها انّ تركيا عزمت على تحصين بعض سواحل البانية حيث يكتب ان تتبدَّد التخوم الايطاليّة في شمالي برنديزي وليس لايطالية هناك ما يصونها البتّة (له بقيّة)

إحفظ عتيقك

نثر لحضرة الخوري لويس دريان الماروني

أما تقع عينك على صبي يرمي حجرا في حوض رائق تنبعث عنه تموجات بشكل دوائر تتلاحق وتتسع كلما ابتعدت من نقطة الدائرة حينما هنه تعود الى صفائها ؟ أو ما نظرت عن بعد الى رجل ينحط بمطرقته الثقيل على صخر أصم فلا يصلك الصوت إلا وقد رفع يده وخبت الصوت من حواليه ؟

تلك حالنا اليوم في بلادنا بل حال كل ضجة تعلو وتنتشر . فقد اخذت تموجات الكفر الذي مسي في الغرب ومضى على عهد نفيه الولع هناك خمسون سنة تتأتى في اثنائها بانواع شتى وتنتقل من طور الى طور . الا اننا نحن لم نر الحجر الذي وقع ولا الذي سبب لنا تموجا بلغ الينا من مفاعيله وقد جهلنا ان يد الضارب على الصخر اخذت ترتفع

تحمسنا واندفعنا مع ذلك التيار لانه نشأ وترعرع في الغرب . والغرب في اعيننا منبت الحرية ومهد العلم العبقري فتفتحت قلوبنا وعيوننا لوعي كل ما يجيئنا من تلك الناحية بلا بحث ولا روية . وقد كان الاجدر بنا ان نمر في حقلنا الثابت بمقود الروية وبيدنا المنجل ننتقي بها للمشي الممر ونقطع القرطب والشوك

نحن اليوم على تحفز للكفر لاننا عطاش للتقدم نكاد نحرق المراحل وقد ظننا ان الفكر لا ينطلق من عقال الخيون إلا بالكفر اذ رأينا الغرب استاذنا في هذا الفن جامعا الاثنين وقد وصلا الينا مقرونين لما استدنا على استعداد للعود الى القديم من معتقداتنا بعد ان جربت خمسين عاما عجمت في خلالها عود الكفر ومرّت على صفحاته صفحة صحيحة بتجربات العرب فيها ما خلاه حقا واصح الطبيعة محصة التجربة

واني لا اكاد اجد لاوربة عذرا فيما وقعت فيه لانها كانت كمن يكي بحرية الا مشاقات الجديدة وخطرات العلوم الجبارة فكانت حالتها شذوذية لم يبق لها

مثلها فاندهشت ابصارها بالانوار الجديدة التي سطعت عليها فظنّ العقل – ومن طبعه التكبّر – ان اكتشافاته تغنيه عن الخالق وعن شرائع الدين قوام الاختيار:

ففي منتصف القرن الماضي نفخ الوضعيّون وهم الذين لا يعتقدون غير المحسوسات في اوربّة روحاً جديدة وحملوا بها على كلّ ما لا يقع تحت الحواسّ حملةً عشواء. وساعدهم على استمالة العقول الطريقة العلميّة الجديدة التي ملكت القلوب منذ ذاك الحين لما ظهر لها من النفع والخصب العجيب في الاكتشافات فنشر اوغسط كونت (A. Comte) راية العصيان بل الكفران لله ولحق به ليتره (Littré) ورنان (Renan) وستيوار ميل (Stuart Mill) الخ. ولا تظنّ ان العلوم الوضعيّة هي التي دفعتهم الى ذاك الجحود بالبراهين القاطعة التي قدّمتها لان موضوع هذا شيءٌ حسّي لا يرتفع الى ما هو فوق المحسوس فاذا هي تخطّت بنتائجها الى الغير المحسوس والمطلق فقد خرجت عن دائرة اختصاصها المحدّدة لها عقلاً ووضعاً فجاء كفرانهم ذاك عفواً بل كان عن هوَس بالجديد وشغف بالانانيّة والحرية المطلقة يشهد عليه اعمال اوغوست كونت المذكور ابي الوضعيين اذ ألّه الانسانية واقام نفسه رئيس احبار لها وبنى لها معبداً حتى توصل الى الشاذّ المضحك.

فجاء ذلك الكفران ضربةً قاسية على الآداب وعبثاً كان يصيح بهم بول جانه (Paul Jannet) بالرجوع عن تلك الطريق المخيفة التي تطلق الانسان من كل قيد وترخي له عنان الشهوات والله اعلم الى اين يكون مصيره. امّا هم فاصمّوا آذانهم وعمدوا الى بناء مجتمع انساني جديد بلا دين ولا ربّ

وقد كان مذهب كُنْت رائجاً منذ ذاك الحين رواج المذهب الوضعي فاستصنعوا لهم منه مبدأً عمليّاً يحفظ آداب البشر ويكون اساسهُ في محبّة الواجب لاجل الواجب بلا نظر الى غاية من وراء الحياة فكانوا فيه كالمتلاعب بالالفاظ. فلم تطل المدة حتى استبان لهم ضلالهم وفقهوا ما يكون من امر ذاك الحاجز الرقيق امام تيّار الميل وزوابع الشهوات فانقلبوا عنهُ الى طلب آداب علمية تبنى على الحوادث الوضعيَّة اسوةً بباقي العلوم كالكيميا والطبيعيات. فسعى بعضهم وجدّ الى هذه الغاية كستوار ميل والفرد فوليه (All.. Fouillée) وهربار سبنسر (H. Spencer) واذ لم يكن لهم بدّ من وضع حدّ للتلذذ بالدنيا وغاية للآداب وللوجود بالاجمال فقد

وضعوها في خير الانسانية جمعاء. فما لا يضرُّ هذه مباح وما يضرُّها ممنوع فكانت الانسانية وهي موجود عقلي قاعدة للاداب وللاعمال

ومن الظاهر ان العلوم الوضعيَّة لا تدلُّنا على الاصلح بل هي تخبرنا بما هو الشيء وبما ليس هو فكان لا بدَّ لاصحابنا ان يستنتجوا من مبادئهم ما استنتجهُ لافي بروهل (Lévy Brühl) من ان علم الاداب ينحصر بدرس اعمال الانسان على ما هي كما تدرس عوائد الحيوانات من ذئب وضبع ونمر

وعلى هذا النمط بلغ الانسان الى الانطلاق من كل عقال يحجر عليهِ شيئاً من الحريَّة المطلقة ولم يبقَ امامهُ ما يوقفهُ عند حد او يمنعهُ عن مطلب. فما يعملهُ هو الصحيح الصوابي لانَّ الطبيعة تعمل فيهِ فلا يحقُّ لنا الَّا ان ننظر في ذلك العمل كما هو كأننا في حادث طبيعي او تركيب كياوي. وقد رأى بعضهم ان الانسانيَّة لم تزل مثقَّلة ببعض الشرائع تمسك عن الانسان شيئاً من الحرية فعمدوا الى تمزيق هذا الباقي الجليل ونبذهِ ليكون للانسان السلطان المطلق على ذاتهِ لا يشاركهُ فيهِ مشارك. لهذا قد ارتفعت من اوربة نغمات جديدة تطرب الاميال وتروق للشعور فقالوا مع هرفة (Hervé) : لتسقط الوطنيَّة. وصرخوا مع بول وفيكتور مارغريت (Paul et Victor Marguerite) : فليسقط الزواج الشرعي

ورأى غيرهم ان تلك النتائج لا تروي غليلًا فقاموا ينكرون كل شيء في الكون الَّا الحوادث فكلُّ شيء في العالم انما هو حوادث وظواهر ولا شيء من ورائها واذا اختلفت بعضها عن بعض فاختلافها متأتٍّ عن الكميَّة والكيفيَّة. فانظر من هذه اللمحة في مجرى الفكر في اوربة منذ خمسين سنة كيف تدرَّج العقلُ من نتيجة الى نتيجة وانتقل من هوَّة الى هوَّة حتى وقع في اللاشيء. فالاساس اذا فاسد بفساد النتيجة. ولا تسلْ عمَّا يصل اليهِ العقل البشري الضعيف متى شمخ بانفهِ على خالقهِ ومال عنهُ بعقلهِ وقلبهِ

ويقال ان الخطر يُفيق السكران من سكرتهِ. نظرتْ اوربة فاذا هي على شفير هاوية لا تعرف لها قرارًا بما تأبطتهُ من المبادئ الفاسدة واستندت اليهِ من الآداب فوقفت وقفةَ المتعجب من الوصول الى غير ما كانت تطمح اليهِ واخذت تتفرَّس فيما هو امامها ولم ترَ نجاة الَّا بالرجوع القهقرى. تنكر الانسان خالقهُ لجرَّهُ الى نكران

الآداب فنكران الاشياء. وانقلب من معطِّل دهري الى لاشيئي. وقد رأوا بعيونهم بعد التجربة ان الدين لهو الاساس الوحيد الصادق للهيئة الاجتماعيّة وللآداب وللوطنيّة وللزواج ولكل شيءٍ حسن وصالح في الدنيا

فلا بدعَ بعد هذا اليوم ان يقوم عشرات من المفكّرين في كل صقع وناد يستصرخون الناس ويدلّونهم الى الخطر اللاحق اذا لم يتداركوا الشر كبلفور (Balfour) ووليام جيمس (William James) وبورجه (P. Bourget) ولانسان (Lanessan). وهلمَّ جرًّا وقد تتقوّى هذه الحركة وتمتدّ وقد جرّت وراءها كثيرين من قادة الفكر وائمّة التعليم العالي: فالمفكّرون اذًا هم اليوم في الغرب على غير ما نراه من نزعات الشرق

ولا تقل ان مجرى الاحوال في اوربّة والحملة العنيفة التي حملها الجاحدون على الدين واهله يخالف ما نذكره لك. فنحن لا يهمّنا ما يجول بين طبقات الشعب ويتحرك به الجماهير وبعض المفكرين من الطبقة الوسطى او المتطفّلين على موائد الآداب ومن المعتاد ان السياسة تتأخر عن حركة الافكار خمساً وعشرين سنة على قول بعضهم. وانّما يهمّنا ما يجول في عقول كبار المفكرين وهم قادة الشعوب وعليهم المعوّل في سير البشرية لان بيدهم القوة والسلطان الاعلى ولم يكن ارتداد برونتيار (Brunnetière) وكوبه (Coppée) وريته (Retté) وبورجه وهويسمنس (Huysmans) وڤرلين (Verlaine) وغيرهم من كبار الكتبة الّا مقدّمات قريبة للحركة الجديدة الآخذة في الشيوع بين العلماء وارباب الفكر

تلك هي المراحل التي مرّت بها اوربة منذ خمسين عاماً وبلغت بها الى حالة قاسية من القلق والانزعاج حتى تلبّدت سماؤها بسحابات مدلهمّة تنذر باخطار يرتجف لها الجسم هولاً. وقد رأينا انّ من كان سيّها البارحة اصبح خائفاً هلعاً منها اليوم. فاذا كان الكفر قد انبعث من اوربة وانتشر فيها مبادئ فلسفيّة علية ضمينة ولكن ما الداعي اليه في ديارنا؟ فاين الفلاسفة؟ واين المبادي؟ واين المذاهب؟ فان قلتُ هوسٌ بالجديد لا اراني اغلط او عزوته الى اميال القلب فلا تقوى على تكذيبي. اوربة ترفع كأس الكفر عن شفتيها لانها ذاقت طعمهُ ونحن نتهافت اليها

تهافت الظمآن. اوربة اخذت تفيق من سكرتها الطويلة بما رأت امامها من الاشباح المخيفة ونغمّض عيوننا ونصمّ اذاننا وراء الكفر ركضاً. فاوربة في المخاض ونحن في اولهِ. فلنحفظ عتيقنا فهو اصلح لنا !

لمة تاريخية عن مشهد

القديس استفانس في اورشليم

(بمناسبة عيد اوَّل الشهداء في ٢٦ ك ١)

لحضرة الاب اسطفان دومط الدومينيكي

ان القديس استفانس المعروف باول الشهداء كان احد السبعة الرجال الذين انتُخبوا برأي الاثني عشر رسولًا ليتمكّن هؤلاء من المواظبة على الصلاة وخدمة الكلمة ويصفهُ الكتاب العزيز بقولهِ : وكان استفانس مملوءًا نعمة وقوة وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب. ولّما لم يستطع اعداؤهُ ان يقاوموا الحكمة والروح الذي كان ينطق بهِ هيجوا عليه الشعب ورؤساءهم فاتوا بهِ الى المحفل واقاموا شهود زور يقولون انهُ نطق بكلمات تجديف وهكذا أُتهم هذا القديس وامارات السكينة والوقار ظاهرة على وجههِ وسمات السرور والبها. تكلّل محيّاه فتفرّس فيه جميع الجالسين في المحفل فرأوا وجههُ كوجه ملاك (اعمال ص ٦) وكانت حجتهُ قوية جداً لم يخشَ فيها لومة لائم فزادت من فائرة انتقامهم واخيراً هجموا عليهِ بعزم واحد ثم طرحوه خارج المدينة ورجموهُ (اع ص ٧ : ٥٧)

ان استشهاد القديس خارج المدينة قولٌ لا ريب فيهِ اذ انَّ نصّ الكتاب صريح بذلك. الّا هنالك تباينُ آراء في الموضع الذي رُجم فيهِ. أكان ذلك في الجهة الشماليَّة من المدينة او في الناحية الشرقيَّة منها ؟ ولعلّ في سرد اقوال الذين كتبوا بهذا الصدد وصولًا الى الحقيقة

ان اوَّل من ذكر موقع استشهاد القديس استفانس هو لوسيانس الكاهن وذلك في القرن الرابع برسالة تناقلتها علماء الكنيسة الاورشليميَّة واثبتها القديس اغسطينس

في مؤلفاته (١ وعنهُ نُحصتُ هذا التعريب قال: ان لوسيانس كاهن الكنيسة في كفر جمالا بعث برسالة الى سائر ابناء الكنيسة المقدّسة يقول فيها:

«تلبيةً لاشارة ابينا خادم الله القديس اقستس الكاهن رأيت ان أعلن لمحبّتكم في يسوع المسيح الثلاث رؤى التي تراءَت لي من قبل الله اظهاراً وتعظيماً لذخائر الطوباوي استفانس اول الشهداء. بينا كنتُ في ليلة الجمعة الواقعة في الثالث من كانون الاول نائماً حسب عادتي في المكان المُعَدّ لحفظ الامتعة المخصّصة بخدمة الاسرار اختُطفت بالروح وشاهدت كاهناً ذا هيبة ووقار متّشحاً بحلة كهنوتيّة فاخرة وعلى صدره صليب وفي يده صولجان ذهب مشى به وبعد ان دعاني باسمي ثلاثاً كلمني باللغة اليونانيّة قائلًا: «اذهب الى مدينة هالية (Helia) اي اورشليم وقل لاسقفها يوحنا القديس هذه الكلمات الى متى نمكث في السجن ولِمَ انت بطيءٌ علينا بفتح الابواب فلا بدَّ من أن نُظهر في عهد اسقفيّتك. أسرعْ الى فتح القبر الموضوعة فيه اجسادنا لكي يرسل الله بشفاعتنا العون السماوي لهذا الجيل المتوي. وليس الاهتمام في ذاتي يوازي اهتمامي بالقديسين الموجودين معي المستحقّين كل اجلال واكرام». فقلت لهُ: مَنْ انت يا سيدي ومن هما اللذان معك؟ فاجابني: انا جمليئيل الذي كنت معلماً لبولس الرسول في اورشليم والذي بالقرب مني في الجهة الشرقيّة هو السيّد استفانس الذي لاجل ايمانه بالمسيح طرحهُ رؤساء الكهنة واليهود خارج المدينة ورجموهُ تجاه الباب الشمالي على الطريق المؤدية الى سيدار حيث بقي يوماً وليلة مطروحاً حسب امر رؤساء الكهنة عرضةً لوحوش البرية غير ان الله قد وقاه شرَّها فاسرعتُ انا جمليئيل رغبة في نيل شفاعة هذا القديس واخترتُ رجالًا اتقياء كنت عرفتهم في اورشليم ليأخذوا جسد القديس في احدى عجلاتي الى قرية لي تدعى كفرجمالا وهناك اقمتُ لهُ مناحةً اربعين يوماً ثم دفنتهُ في قبر كنت اعددتهُ لنفسي. وفي القبر الثاني دفنت نيقوديمس الذي جاء الى يسوع ليلًا وكان قد قبل العمودية من ايدي الرسل. ولما علم اليهود بذلك نزعوا عنهُ لقبهُ الاميري وطردوه فقبلتهُ انا جمليئيل في بيتي مقدماً لهُ معاشهُ الى ان توفّاه الله فدفنتهُ مكرَّماً حذاء السيّد استفانس. وكان لي ولد

(١) اطلب المقالة ١١٢ في شرح انجيل القديس يوحنا والطبعة ٣١٨ و٣١٩ وفي ك ٢٥ الملحق في عجائب القديس استفانس صفحة ١٢٢

عزيز لديَّ قبل معي سر العماد المقدس توفي في العشرين من سنيهِ فوضعتهُ في القبر الذي دُفنت انا فيه . . .

« فقلتُ له : في اي موضع نبحث عنكم ؟ فاجابني : في وسط البلد في حقل يُدعى « دلاجبري » اي « حقل رجال الله » ولكي يتأكد لوسيانس صحة هذه الرؤيا صام وصلَّى ملتمساً منهُ تعالى تكرارها الى ثلاث مرَّات . ولمَّا استجاب الله طلبتهُ اسرع الى الاسقف واخبره برؤياه ففرح الاسقف بذلك وامره بالبحث في الموضع المعيَّن وكان تراءى جمليئيل لراهب سليم الطوية يُدعى ميجه في الصورة التي ظهر بها قبلًا فقصَّ الراهب على لوسيانس رؤياه مبيِّناً له موضع القبور ولمَّا نبشوا عنها وجدوا ثلاثة توابيت فبشَّروا الاسقف الذي اسرع مع اسقفين آخرين وذهب معهم جم غفير . ولمَّا فُتح تابوت الشهيد اهتزَّت الارض وفاح منهُ رائحة ذكيَّة تفوق الوصف وكان بين الحاضرين اناس بهم امراض مختلفة فشفي منهم ٧٣ رجلًا شفاء تامًّا وشفي ايضاً من كان فيه روح نجس . فارتفعت اصوات الجميع بحمد الله وتسبيحهِ وحملوا ذخائر القديس حيث وضعوها في الكنيسة الاسقفيَّة على جبل صهيون » وبعد ثبوت صحة هذه الحادثة عيَّنت الكنيسة المقدسة عيدًا ذكرًا لاكتشاف ذخائر الشهيد

لا يخفى ان جمليئيل هذا كان معلماً للناموس (اع ٥ : ٣٤) واول ما ذُكر في الكتاب المقدس كان عند مقاومة الكهنة امتداد الانجيل ومحاولتهم قتل الرسل فاشار عليهم جمليئيل ان لا يضطهدوا الكنيسة بقوله لهم : اذا كانت الديانة المسيحيَّة من الناس فسوف تُنقَض والَّا فاذا اضطهدوها يُصادَفوا محاربين لله . وكان معلِّماً لبولس في اورشليم (اع ٢٢ : ٣) وجاء في التقليد ان بطرس ويوحنا عمداه . وما كان ظهوره للكاهن لوسيانس الَّا بعناية الهيَّة فكما انهُ تعالى قد الهمهُ اولًا وشدد عزمهُ كي لا يبالي بالاخطار ويدفن جسد الشهيد هكذا قد دعاه ثانيةً ليعلن موضع استشهاده ويكشف عن ذخائره بركةً للمؤمنين . ولعمري ان تلك الارض التي شربت دم اول الشهداء وفيها كافح جندي المسيح الباسل وعليها جثا طالباً المغفرة لراجميه لَحَرِيَّة بمقام يُكرَم ويستشفع فيه هذا القديس امجادًا لعظيم تعالى واستدرارًا لنعمه السماوية . وهذا ما حمل ايدوسيا (Eudocia) الملكة على تشييد كنيسة فخيمة في هذا المقام تدل بعظمتها على عظمة مناطة هذا القديس وحبه لسيده

جاء في التاريخ الاسكندري (Chronicon Pascale, *Migne*, P.G. t. 92) عن ايدوسيا هذه انها كانت تدعى اثانيس وهي ابنة ليونس هيركليس احد فلاسفة اليونان فجاد هذا الفيلسوف على فتاته بالعلوم الى ان بلغت شأوًا عليًا الّا انهُ بخل عليها بامواله لانهُ اوصى بجميع مقتناه لولديه ولم يخصّص لابنته سوى مايتي درهم لانهُ قال: « ان لها من المال ما ليس لغيرها نظيره » يشير بذلك الى سعة علومها ووفرة آدبها وفرط جمالها ولمّا لم يشركها اخواها بميراث ابيها جاءت مع خالة لها الى القسطنطينيّة وهناك اتّصلت ببلخاريا اخت الملك ثاودوسيوس الصغير وبسعيها اتصلت اثانيس ان تكون زوجة اخيها بعد ان عمّدها الاسقف في كنيسة اول الشهداء في القسطنطينيّة ودُعيت باسم ايدوسيا. وقد مدح المعاصرون عظمة هذه الملكة واثنوا على براعتها في اللاتينيّة واليونانيّة وفي العلوم الفلسفيّة والهندسيّة. وذكر مرسلينس زيارتها الاولى لمدينة اورشليم ورجوعها حاملةً ذخيرة من ذخائر القديس استفانس حيث وضعتها في الكنيسة التي فيها وُسدت بشر الهاد القدس « ثمّ نُقلت هذه الذخيرة بعد ذلك الى كنيسة القديس لورنسيوس في رومية ». ووقعت بعد زمن وحشة ما بين الملك والملكة وانفرجت الحال بينهما وسبب ذلك كما اخبر مرسلينس انهُ بينما كان الملك ذاهبًا الى الكنيسة يوم عيد الظهور الالهي قدّم له احدهم ثمرةً شهيّة (قيل انها من فريجيا) فسرّ الملك واكرمهُ وبعث بها الى الملكة ومنها اتّصلت الى بولينس الذي اعادها الى الملك. فسأل هذا الملكةَ عن الثمرة فاجابتهُ انها اكلتها فخيّل للملك ان بالامر خيانةً فامر بقتل بولينس واعرض عن الملكة. فترفّعت عن ان تحتجّ لنفسها وعادت الى اورشليم حيث بقيت خاملة الذكر الى ان مات ثاودوسيوس واستلمت بلخاريا صديقتها زمام الملك فتصالحت مع بلاط القسطنطينيّة ولبثت في اورشليم تهتمّ بمشروعات خيرية فرفعت اسوار المدينة وبنت فيها كنائس واديارًا وملاجئ للشيوخ والمعوزين

ومن اعظم تلك الاعمال التي ابقت لها ذكرًا عاطرًا تشييدها كنيسة كبرى على اسم القديس استفانس شرعت في بنائها على عهد جوفينال بطريرك اورشليم وفرغت منها في ايام خلفه انسطاسيوس. وقبل مفارقتها لهذه الحياة خصّصت لهذه الكنيسة قسمًا وافرًا من اموالها ورأست عليها الاب جبرائيل السائح وتوفيت هذه الملكة

برائحة القداسة ودُفنت حسب ايثارها حذاء كنيسة القديس استفانس . فكيرأس البيساني في معرض كلامهِ عن القديس افتيموس يمدح صفاتها ويلقبها طوباوية . وبعد عشر سنوات من وفاتها جاءت حفيدتها المدعوة باسمها ايضاً ومكثت في اورشليم الى آخر حياتها ودُفنت حسب وصيتها في قبر محاذٍ لقبر جدتها

مما لا ريب فيه ان ايدوسيا الملكة بنت كنيسة الشهيد في موضع رجمهِ عملاً بما كانوا عليهِ في ذلك العصر . فقد جاء في القانون ١٤ من مجمع قرطجنة « انهُ عند بناء كنيسةٍ لاكرام احد القديسين ينبغي ان تشيَّد في موضع اقامتهِ او في مكان عذابهِ » الخ وليس غرضنا بهذه الفقرة سوى الدلالة على نظام الكنيسة في تلك القرون الخالية وكان هذا النظام مألوفاً لذلك العهد في جهات فلسطين اذ ان القديسة هيلانة شيدت كنائس شهيرة في اكثر الاماكن التي لها تذكارات مؤثرة . وقد بُنيت كنائس في جهات شتى اكراماً لاول الشهداء افما كان الاحرى ان تُبنى كنيسة تفوقهنَّ عظمة في تلك الارض التي قدَّسها الشهيد وسقاها بدمهِ . قال باسيليوس اسقف سلوقية في احدى مواعظهِ . انهُ من الامور المقررة ان مشهد القديس استفانس كان معروفاً في اورشليم كمعرفة موقع الجلجلة والقبر المقدس كما ان رُفاتهِ وُضعت حسب ايثاره في الكنيسة التي تجاه اسوار اورشليم في مكان استشهاده . وجاء في حياة القديس افتيموس (١٠٣ع) ان ايدوسيا شيَّدت ديرًا وسيقاً حذاء كنيسة اول الشهداء واقامت عليهِ جبرائيل الذي تهذَّب على يد افتيموس وبعد ان قام بشؤون الدير مدة ٢٤ سنة ابتنى لنفسهِ قلاية قريباً من هيكل الصعود وكان هذا البار يختلي فيها اقتداء بمعلمهِ من عيد الغطاس الى عيد النخل وفي غير هذه الايام كان يقيم في الدير وفيهِ توفاه الله بعمر ٨٠ سنة وأُثبتت بزارتهُ بعجائب باهرة . وقد جاء ذكر كنيسة القديس استفانس في كتبٍ عديدة اخصُّها لما امتدت شيعة القائلين بالطبيعة الواحدة وكان انسطاس الملك يسهّل الانضمام الى مصاف تبعيها فاجتمع في باحة كنيسة اول الشهداء كل رهبان فلسطين تحت رئاسة القديس سابا والقديس ثاودوسيوس وهناك صرَّحوا عن حماسة مقدسة بايمانهم الكاثوليكي وقال افغريوس في تاريخهِ الكنسي ان ايدوسيا الملكة ابتنت لاول الشهداء معبداً غاية في الاتقان والاتساع وهو على رمية سهم من المدينة وفيهِ دُفنت هذه الملكة (مين ك ١ ف ٢٢) . وقال السائح ثاودوسيوس ان

القديس استفانس رجم خارجاً عن باب الجليل حيث ترجد الكنيسة التي شيدتها ايدوسيا زوجة ثاودوسيوس الصغير (الارض المقدسة نوير طبعة ١٨٧٧) ويذكر مؤرخو ذلك العصر انها كانت باقية الى ان قدمت عساكر الفرس وافتتحت مدينة اورشليم وسلبت غناها ودكّت مبانيها واحرقت كنائسها ودمّرت اديارها فكان حظّ دير ايدوسيا وكنيستها كحظّ غيرهما من الكنائس والاديار عرضة للخراب ومطعماً للنار

هدم الفرس كنيسة ايدوسيا سنة ٦١٤ وفي سنة ٦٣٧ امر صفرونيوس بطريرك اورشليم ببناء معبد صغير في مقامها اذ لم يتهيّأ له اذ ذاك ان يردّها الى رونقها الاصلي وعظمتها السالفة لتعسُّر الاحوال عليه. وذُكر هذا المعبد سنة ٨٠٨ في سجل معابد المدينة المقدسة وفي سنة ١٠٩٩ وجد الصليبيون في الجهة الشماليّة معبداً على اسم القديس استفانس لانّ ريموند ديكويلرس يقول ان الدوق والكونت دي فلندر والكونت دي نورمندي حاصرا المدينة من الجهة الشماليّة وامتدّ نطاق حصارهما من كنيسة القديس استفانس التى تقابل منتصف المدينة في الناحية الشماليّة. واثبت ذلك تودبوف بقوله ان روبر دي نورمندي حاصر المدينة في الجهة الشماليّة قرب كنيسة الشهيد الاول حيث احتمل بفرح رجمَ الحجارة لاجل اسم المسيح. وفي سنة ١١٠٦ جاء دانيال الرئيس الروسي وكان دخوله لاورشليم من الجهة الشماليّة فقال: في الجهة اليسرى بقرب الطريق توجد كنيسة القديس استفانس اول الشهداء وهناك رجمهُ اليهود على بعد رمية حجر من جبل مسطّح (يعني الجبل المجاور لمشهد القديس وهو يطابق كل المطابقة لقوله)

غير ان معبد القديس استفانس خرب سنة ١١٨٧ خربهُ المسيحيون انفسهم خوفاً من ان يجعلهُ السراكسة الذين جاءوا لحصار اورشليم ملجأً لهم واستمرَّ ذكر استشهاد القديس ملازماً لتلك الناحية الشماليّة حتى ان كتب الزوّار في القرن الثالث عشر عند ذكرها باب اورشليم الشمالي تسميه باب القديس استفانس. فمن امثلة ذلك ما قال بوكردس سنة ١٢٨٣: «كان الباب الثالث الشمالي يدعى في العهد القديم باب افرائيم والان يسمّى باب القديس استفانس لان الشهيد رُجم خارجاً عن هذا الباب»

ان العناية الالهيّة التي الهمت الاب لوسيانس الى اكتشاف ذخائر اول الشهدا

هي التي قادت الاب متى ليكنت (Matthieu Lecomte) الافرنسي الدومنيكي الى ابتياع الارض التي سقاها شهيدنا المعظم بدمهِ

١٠ نال الاب متى نعمة الانخراط في سلك من اصطفاهم الله واختصّهم بوهبة الكهنوت المقدس الّا واظهر ما في فؤاده من الغيرة المقدسة على خلاص النفوس فجاهد الجهاد المفروض في القاء المواعظ والارشادات في كثير من مدن فرنسا وكان يجاله اوعظ منهُ بكلامه . ولما كانت سنة ١٨٨٢ جاء برفقة زوّار التوبة الذين يأتون كل سنة باهتمام وعناية الاباء الصعوديين لزيارة الاماكن المقدسة فشاهد ثمَّ ما لاورشليم المدينة العظيمة من المشاهد التي تأخذ بمجامع الفؤاد تأثيرا وتفطر مرارة الكبد خشوعاً . ولتدبير الهي كان اوانذاك قد اكتشف عن اثار معبد شمالي المدينة فاتجهت افكار العارفين على ان هناك مشهد اول الشهداء الذي لم يكن ليخفى عليهم مكانهُ وهو معلوم لديهم انهُ في ظاهر البلدة . فرغب الاب في مشترى ذاك المكان علماً منهُ انهُ هناك رُجم هذا الشهيد وبذلك يُحيي ولو ديرًا واحدًا من تلك الاديار التي كانت للاخوة الواعظين في اورشليم وضواحيها . فكتب لروسائهِ في هذا الشان فما كان منهم الّا ان باركوا فكره الصالح ومدحوا حسن مسعاه . انما تمنّع صاحب الارض عن المبيع لكثرة الراغبين فيها . ولمّا كان الاب متى لا يشغل فكره شاغل عن الغرض الوحيد الذي ظلّ يرمي اليهِ حياتهُ كلها وهو الوعظ عاد الى فرنسا وقد عهد بشراء الارض الى صديقيهِ الطيّبي الاثر الاب ماري راتسبون والمسيو لنگله قنصل دولة فرنسا حينذاك وبسعاهما تمّ انعقاد المبيع يوم عيد القديس لستفانس ممّا يتبادر الى ان شهيدنا كان معيناً ونصيرًا للعمل . فسرّ الاب متى بنيل مبتغاه وقبل ان يعود الى الشرق يمّم مدينة رومية قصد الاجلال والاعظام لاوامر رئيس الكنيسة . وكان على عرش بطرس السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر الذي قابلهُ كالاب الشفيق وفي الختام باركهُ وبارك كل من يؤازرهُ بمشروعهِ فخرج من لدن رئيسه الاعلى مشتدّ الازر قاصداً اورشليم حيث باشر بنزع الاقذار عن ذاك المكان المقدس . وكان ما يكتشفهُ من الاثار الدالّة على اصالة المكان يُشدّد عزمهُ غير ان حياتهُ التي وقفها على المواعظ والاعمال الخيرية كانت انتهت على هذه الفانية فذهب للاقاة ربهِ مذكورًا بفضلهِ وغيرتهِ

وفي خلال سنة ١٨٨٧ بوشر باعمال حفريات فبانت تماماً جدران المعبد الصغير وظهر للمتأمل ان بعض احجاره منقول في الاصل من انقاض هيكل اقدم منهُ فضلاً من انهُ لم يكن مناسبة بينهُ وبين ما كتب المؤرخون عن عظمة ايدوسيا واتساعها. وكان اوانئذٍ العلّامة غارين (M^r Guérin) موجوداً في القدس فاشار بمتابعة الحفريات مؤكداً بقرب الوصول الى الغاية المطلوبة وكان كما قال اذ لم تلبث ان ظهرت باتمّ وضوح اساسات كنيسة ايدوسيا القديمة واكتُشفت رسوم من الفسيفساء. منها قسم صالح باقية الوانهُ على جمالها لم يَشُبْها ادنى تغيير الى يومنا هذا. وبانت مائدة المذبح وهي مخطّطة بخيوط صغيرة تفضي الى مجرى اوسع منها وبذلك دلالة على أنهم كانوا في العصور الغابرة يغسلون المذبح قبل المباشرة في القداس. ووُجد قسم من الدرابزين الذي كان يفصل الخورس عن صحن الكنيسة وغير ذلك مثل قوالب للعيشان وأكلة من الطرز القورنثي واساطين واعمدة كبيرة منها ما يبلغ استدارتهُ ثلاثة امتار وكلها تُعرب عن قدامتها وعظمتها السالفة. واهتدي الى مكان المذبح الذي ذكره ثاودوسيوس السائح وغالان (طبعة ١٨٦٥ صفحة٥) قال : « في وسط كنيسة القديس استفانس مقام محاط بحاجز من حديد وهو منخفض عن مساواة ارض الكنيسة فيه مذبح قائم حيث رُجم اول الشهداء ورأى السماوات مفتوحة »

وذُكر هذا المذبح في سيرة حياة بطرس الايبرياني حيث روى « انهُ كان قادماً ذات يوم من بلدة واقعة شمالي اورشليم فدخل اولاً موضع استشهاد القديس استفانس لوقوعهِ في طريقهِ فنزل يصلي امام مستودع الذخائر »

واكتشف هذا الكنيسة على اثار دير القديس استفانس منها ممشى طولهُ ١٩ متراً وعلى جانبيهِ اعمال فسيفساء انما قد عملت فيها ظروف الزمان ولم يسلم منها سوى حجرة سفليّة فيها رسم حمل باقٍ لونهُ على جمالهِ الى الان (اطلب الصورة) ونُبش عن عدة قبور منها ما كانت تُسدّ بحجر واحد ممّا يذكّرنا بقول النسوة : « مَن يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ». وهي مدافن قديمة وعلى بعضها اعلام يونانيّة تشير الى انها خُصّصت فيما بعد بدفن رهبان الدير فقد كُتب على احدها « مدفن لنونُس انسيموس شماس خاص بقيامة المسيح وبهذا الدير » . وهذا يطابق ما جاء في سيرة حياة القديس افتيموس من ان الرتب كانت تُعطى للرهبان

مع ابقائهم ضمن اديرتهم ·وعلى غيرها آيات عاوية منها « الرب نوري وخلاصي· · · بك اعتصمتُ يا رب فلا اخزَ الى الابد· · ·الساكن في ستر العلي ». الخ

واكتُشف عن قبري ايدوسيا الملكة وحفيدتها للساة باسنّها وهما على ٢٦ خطوة من مذبح الشهيد وهي عين المسافة التي ذكرها انطونيوس البلغزني الشهيد ومن بين تلك القبور سقف الآباء الحاليون ردهة تحيط بها القبور وجميعها منقورة في الصخر وكرّسوها متزلاً ابدياً لهم

وفي موضع دير القديس استفانس القديم بنوا ديرًا ومدرسة لتعليم الكتاب المقدس · وعلى اساسات كنيسة ايدوسيا قامت كنيسة الدومينيكان الحالية شُرع في بنائها سنة ١٨٩٥ وتكرست في ١٧ نيسان ١٨٩٨ واحتفل بتدشينها في ١٣ ايار سنة ١٩٠٠ وأعطيت لقب باسيليكة صغرى (basilique mineure) بموجب براءة من قداسة البابا بيوس العاشر في تاريخ ١٠ حزيران سنة ١٩٠٤. اماً من حيث البناء فانها متقنة امام مدخلها ساحة وسيعة محاطة بالاروقة (وهي في مكان دهاليز ايدوسيا القديمة) وفي وسطها تمثال اول الشهداء. هذا خارج الكنيسة واماً داخلها فهي مثلثة الاسواق مفصولة باعمدة من الحجر الاحمر الصقيل وهي مشرقة مضيئة بما فيها من النوافذ والكنيسة على هيئتها القديمة متجهة من الغرب الى الشرق وطولها من الباب الملوكي الى المذبح الكبير ٤٠ مترًا في عرض ٢٠ وعلو ١٩ وفي صدرها مذبح لاول الشهداء يُنزل اليه بثمان درجات وهو في مقام المذبح السابق وجبهتهُ مصنوع بالفسيفساء المذهبة يمثل رجم الشهيد ·ويعلوه مستودعٌ فيه ذخائره المقدسة ويحيط به الخورس من ثلاث جهات ومن محسنات تلك الكنيسة واتقان الهندسة فيها ان الواقف في اي جهة كانت من جهاتها يمكنهُ ان يرى هيا كلها الاثني عشر لان العمد الفاصلة بين اقسامها مصنوعة بشكل دقيق بحيث لا تمنع الحضور عن المشاهدة·وقد منح الاحبار الاعظمون انعامات لزائري هذه الكنيسة منها غفران كامل مرة واحدة في السنة وغفران مائة يوم يكتسب يومياً

هذا وقد زعم بعضهم ان استشهاد القديس استفانس كان في وادٍ حملًا على ما جاء في هذه العبارة الطقسيّة وهي « ان حجارة الوادي عذبة لديه » ففسّروها حرفياً ولم ينتبهوا الى ان المقصود بمعناها ليس وصف المكان بل الدلالة على ان الشهيد

استعذب الموت حبًا بسيده ولم يجاهِ مرًا كتجليات الذي اصاب حجرُ الوادي جبهتهُ (١مل ١٧ : ٤٠ و٤٩) ومن ثمَّ ظنوا ان الوادي المزعوم هو وادي قدرون الواقع في الناحية الشرقيَّة استنادًا على قربه. من المدينة اكثر من بقيَّة الاودية اذا هناك تعددت عندهم الامكنة وكثرت المحلَّات وتشعَّبت الاقوال والاشارات فبينما كان البعض يبحثون عن محلّ الرجم في جهات مختلفة من ذاك الوادي كان آخرون يحملون على المنحدر الشرقي او الغربي منهُ وليس لهم هناك سوى كلام محادثة ليس دليل ولا اشارات او شبهة تدعو الى الريب في صحَّة التقليد الحقيقي او تناقض شهادات المؤرخين القائلين ان استشهاد القديس كان في الناحية الشماليَّة حيث آثار كنيسة ايدوسيا لم تزل الى الآن تؤيد صحَّة اقوالهم وتثبت التقليدات الراهنة. وللعلامة حضرة الاب لاكرنج (R. P. Lagrange) كتاب في هذا الموضوع عنوانهُ « مشهد القديس استفانس » فيه تفاصيل كثيرة عن مشهد هذا القديس المعظم وقد دعم حضرتهُ اقوالهُ باسانيد شتى لا تبقي في صحتهِ ريبا. فمن اراد زيادة في الشرح فعليه بهِ وعنهُ اخذنا الرسوم التي اثبتناها في هذه اللمعة الوجيزة

الى الأمَّة البرتغاليَّة

احتجاج اليسوعيين المنفيين من وطنهم

للاب لويس كبرال رئيس اقليم البرتغال على اليسوعيين

توطئة

الرهبانيَّة اليسوعيَّة تُقسم اليوم الى ٢٥ اقليمًا وتُقسم الاقاليم الى خمسة اعمال او ايالات لكلّ منها نائب لدى الرئيس العام الذي مركزهُ في رومية . فاقليم البرتغال واحد من الاقاليم الخمسة التي تتألف منها ايالة اسبانية وعدد رهبانهِ يبلغ ٣٦٠ منهم ٣٠٠ في بلاد البرتغال والباقون في رسالات مستعمراتها في الزنبيز والهند وماكاو . فلمَّا حدثت الثورة الاخيرة جرى في حقّ الرهبان عمومًا واليسوعيين خصوصًا من الفظائع ما ذكر البعض منهُ حضرة الاب لويس دترقال اليسوعي في مقالتهِ المعنونة « صدق المقال في ثورة البرتغال » . وها هوذا احتجاج رسميّ رفعهُ رئيس اقليم البرتغال الى مواطنيهِ بازاء العالم المتمدّن ليعلم الجميع انَّ رهبانهُ لم يأتوا

عملًا وان زهيدًا يستوجب تلك المعاملات السيئة التي عاملهم بها الجمهوريّون ويتحقّق كل ذي بصيرة ان نفيهم من اوطانهم جور واستبداد ليس الّا. وبهذا تتلاشى الشكايات التي نقلتها بعض المجلّات والجرائد العربيّة دون تروٍّ ولا اعتدال (المشرق)

في مدّة الأيام الطويلة والكثيرة الاوجاع التي تمّ فيها خروج ابناء الرهبانيّة اليسوعيّة المضطرين الى النفي اذ طُردوا من وطنهم العزيز وعوملوا معاملة آثم الجُناة بعد ان قضوا حياتهم كلها يتفانون في خير القريب كنتُ انا غائصاً في لجة الهم مفكرًا في تنجية حياة اخوتي وفي طلب ارض جديدة يواصلون فيها اعمال غيرتهم. فلم اجد ساعة من الراحة لأسمع اهل بلادي صوت الاحتجاج الذي كان يقضي بهِ عليَّ قلبي الوطني البرتغالي ثم شرفي كنصراني وراهب وكاهن فضلًا عن المسؤوليّة التي انا حامل عبئها بصفة رئيس اخوتي

وانا في هذا الاحتجاج لا اتكلم سوى عن رهبان الجماعة اليسوعيّة الذين عُهد اليَّ امرهم وحدهم. على اني لا اتمالك عن ان اوجّه سلامي الى اعضاء كل الرهبانيّات والاخويات الذين أعتبرهم كأعزّ الاخوان وأكرمهم كرفقتنا في ساعة المصائب وكأبطال الدين المضطهدين الذين شاركوا السيّد المسيح شركة ممتازة في حمل صليبهِ لأنهم أُهينوا وأُلقوا في السجون بل قُتل بعضهم فذهبوا ضحايا شريعتهِ وختموا بدم الاستشهاد حياةً قضوها في القداسة وتضحية النفس

الّا اني في الخطاب الذي اوجهُ الى وطني في هذه الساعة الجليلة يحقّ لي بان اقصر فيه كلامي على اولادي وابرز صوت الوجع الذي يتدفق من قلبي ذكرَ آلامهم فأحتجّ على رؤوس الاشهاد معلنًا بانهم ابرياء من الآثام التي قرفوهم بها

*

في وسط جيل الحريّة قام أُناس يفتخرون بالتساهل الدينيّ فطردوا في لمحة عين باسم مبادئ المساواة من ارض البرتغال نيفاً وثلاثمائة من مواطنيهم كانوا يسكنون في نحو عشرين منزلًا في قارة بلادهم او في مستعمراتها ما وراء البحار في افريقية وآسية واوقيانية. وذلك دون ان يثبتوا عليهم جناية واحدة او يسمحوا لهم بان يقولوا كلمة في الدفاع عن نفسهم او يعطوهم الوقت ليجمعوا اموالهم وكتبهم وتآليفهم التي صنفوها بعد اتعاب سنين عديدة من حياةٍ قضوها في الدروس المتوالية. فباسم

الحريّة قد سُلب كل ذلك من ايدينا. قد عرّونا عن كل شيء. قد ضبطوا كل مقتنياتنا واديرتنا. وبعض هذه الابنية لم نتوفق الى تشييدها الّا بما ادّخرناه من مصاريف مدارسنا بالاقتصاد والتقتير مع النزاهة التامّة. والبعض الآخر كان لشراءه اشخاص معلومون بالهم الخاصّ وسجّلوه شرعياً باسمائهم. فالحكومة قد ضبطت هذه العقارات والاملاك بل استولت ايضاً على كل محتوياتها. فكانت في هذه الاديرة مجاميع علميّة من الطرز الاوّل كالمتاحف والخزائن العلميّة وغرف المختبرات التي كانت في مدرستي كمبوليد وسان فيال مما كان جمعهُ آباؤنا واخوتنا منذ خمسين سنة بانيف بعد فروغ الكدّ وصرف المجهود مع مساعدة بعض تلامذتنا المالية في كلّ شهر والريحية بعض اصدقائنا فاودعوها الآلات والاجهزة وكل لوازم التعليم فان هذا الاثاث كان خاصتنا من كل وجه ليس لاحد عليه حقّ

وقس عليه خزائن كتبنا التي كنّا سعينا في جمعها مدةَ نصف قرن بالوسائل نفسها. وكذا اصونة ثيابنا التي يلبسها كل واحد منّا وقلالينا التي لا تجد فيها ما خلا فراشاً بسيطاً وجهاز الاغتسال غير طاولة الشغل ورفوف مكتبة صغيرة تُنضَّد فوقها رفقتنا في عزلتنا وأنساؤنا في الساعات التي نختلسها من الحديث الباطل بل نوفّرها على اوقات الراحة الواجبة. فكلّ ذلك قد ألقي عليه القبض في ساعة واحدة وأعلن به كمال الدولة وجُرّدنا نحن جزافاً وخلافاً لكل شرع وطُردنا من بيوتنا. ثمّ قادونا بينما كان يحدق بنا الجند وقوم شاكو السلاح فعرّضونا لسخريّة الأوغاد واهانات سفلة الشعب بعد ان أثاروا في قلوبهم البغضاء علينا بما اختلقوهُ في حقّنا من الاكاذيب فنشروهُ منذ زمان طويل في اسخف الجرائد وابذأ الصحائف

واذ سبق بعض اخوتنا وادركوا ما سيحلّ بهم من المعاملات السيئة فهربوا سار في اثرهم بعض الاشقياء وضايقوهم في الشوارع والحقول كأنهم الوحوش الضارية بل تأثروا بعضهم واطلقوا عليهم البندقيّات كما تحققتْ ذلك واوسعوا كثيرين شتماً ولكماً. بل وُجد بين اخوتنا — وليكن مباركاً الربّ الاله الذي سبق وصار قدوتنا في احتمال هذه الاهانات العظيمة — رهبانٌ اجلاء بصق الاوباش في وجههم وعدّوا ذلك الهوان كهزل والعوبة

انّ اسماء هؤلاء المظلومين لم تقيَّد قطّ في سجلّات الشُرَط والجواسيس. ياحبّذا

الجناة الذين كانوا تركوا كل شيء وضحّوا كل محبوب ليخصصوا انفوسهم دون امل في مجازاة بشرية تهذيب الناشئة في المدارس ولدعوة الشعوب الهمجيّة الى انجيل الخلاص في البلاد القاصية ولكل الخدم مهما كانت شاقة همبة مكلّفين نفوسهم اعظم الضحايا. فما كان لاحد ان يثبت على كل هؤلاء ليس جناية فقط بل حتى اخف الذنوب رغماً عمّا نشروه في حقهم من الشكايات الباطلة والمدعيات الفارغة في صحافة مجونية لو كتبت ما كتبته من السخافات والشتائم البذيّة في اي بلد كان لأسرع أولو الامر الى تأديبها. ومع هذا أُلقي اولئك الافاضل في الحبوس كأنّه فقاسوا من الاوجاع امرّها وفُصل بينهم وبين عالم النور

ولا يظنّنَّ احد انّ كلامي هذا مبالغات يقذف بها الوجع من فمي. كلّا ثم كلّا فانّ ما كابدهُ الرهبان الطرداء. وما لحق بالمحبوسين منهم من ضروب الأذى والعوز قد تجاوز كل ما استطيع ان اقول

فان سُمح لي ذكرت ما اصابني شخصياً فاني كنت وارثاً من اهلي وراثة شرعيّة خصّصتها باقتناء املاك وعقارات ومقتنيات شتى كانت مسجّلة في الحكومة باسمي. فهاءنذا قد اضطررتُ ان اخرج من وطني البرتغال صفر اليدين لا املك شيئاً غير الثوب الذي يسترني وهذا الثوب نفسهُ قد اشتراه لي احد الاصدقاء. اذ لم يكن لي ما اشتري به. امّا الدريهمات القليلة التي احتجت اليها لسفري حتى فرنسة فقد تصدّق بها عليَّ احد المحسنين الذي لم اكُ اعرفهُ ولم يعرفني فاشكرهُ الان شكر الفقير المُعوز لاجل اسم المسيح

وهاك ما قاساهُ اخوتي الاعزاء المحبوسون في سبيل الله من البؤس والضنك فاقول انّهم مدة حبسهم في ثكنة فيلق الطوبجيّة الاوّل حيث كان يحكم ليس العسكر بل سفلة القوم وسُقّاطهم لم تُعطَ لهم حتى ملعقة ليأكلوا طعامهم الضروري وبلغة عيشتهم وحجزوا عنهم المراحيض فلم يدعوهم يخرجون اليها الأمرّة كل ثماني ساعات بل اعلنوا المرضى منهم ان اختلافهم اليها خارجاً عن الساعات المعيّنة يعتبرونهُ كحجّة باطلة للتلهّي مع انّ عملاً بربرياً مثل هذا كان كافياً لقطع حبل حياتهم

وفي تلك الثكنة عينها كان الحرس يتهدّدون ليلاً باطلاق الرصاص كل من

يحاول النهوض من مكانهِ . وقد بلغت بهم القحة في الأيام الاخيرة من هذه المصادرات الهائلة انَّهم ادخلوا في الحبس نساء متهتّكات فاجرات اللواتي اتمنَّ الخروج السريع متعجّبات خجلات رغماً عن قحتهنّ لما شاهدن في اخوتي من الفضيلة والوقار والاحتشام

ولمَّا نُقلوا الى حصن كاخياس احتسبوا نفسهم في رغد العيش اذ وزعوا عليهم فراشا من التبن وضعوهُ على الواح بسيطة مع لحاف واحد ووسادة خشنة لأنَّهم كانوا يقابلون حالتهم مع سابق اوجاعهم في ثكنة العسكر

وقد عانى بعض اخوتنا الاعزاء ما هو اعظم من الشدائد التي لقيها المحبوسون في ثكنة الطوبجيَّة وذلك في حبس البادية الذي أُلقوا فيهِ قبل ان يُنقلوا الى ليواردو فانَّهم كانوا ثلاثة وعشرين فحُشروا مدة خمسة أيام في حجرة وسخة ضيقة لا تكاد تكفي لثلاثة رجال فقط وفي طول مقامهم لم يُسمَح لهم البتة ان يخرجوا من هذا الكوخ الوخيم باي حجة كانت ! !

نعم اني لا اجهل انهُ وُجد بين الضبّاط والجنود نفرٌ شذُّوا من هذه المعاملة السيّئة فاظهروا لليسوعيين المحبوسين وقابلوا ابدوا لهم الاكرام والوقار . فانَّ اخوتي الابرياء لم ينسوهم وانا باسم الجميع اشكرهم على رقة عواطفهم شكراً حميماً . الَّا انَّ شفقة هؤلاء لم تحسن ان تُلطف شيئاً من المكروه الذي لحق بالمظلومين مدَّة هذه اسابيع الآلام الشبيهة بآلام الجلجلة

ولم يقفوا عند هذا الحدّ ولكن بعد طول هذه المضايقات والمصادرات وانواع العذاب لمَّا حان وقت تنفيذ حكم النفي في هؤلاء ابناء البرتغال الذين كان ولا يزال قلبهم يستعر بالحبّ المضطرم نحو وطنهم العزيز قام الذين كانوا سلبوا كل شيء ووضعوا ايديهم على كل املاكنا العقاريَّة والمنقلة واجترأُوا — ويا لها من جراءة مستهجنة — ان يطالبوا باجرة السَّفر الذين عولوا على اخراجهم من تخوم بلادهم قهراً . واذ قال احد الآباء لرجل من الضبَّاط انَّهم لا يملكون شيئاً على الاطلاق اجاب الضابط بقولهِ : « فانتظروا اذن في حبسكم تحت قبضتنا الى ان يُميتكم الوخم والعفن في فصل الشتاء . فلا بُدَّ وقتئذٍ ان يجد اصحابكم الدراهم اللازمة لنجاتكم »

وبالواقع أُرسلت النقود لأنَّ اهل البرتغال لم يتحالفوا كلهم على اضطهاد البرّ

والفضة فهبّت عائلات عديدة واكتتبت بالمبالغ اللازمة لسفرهم بل أرسلت لهم حسنات وافرة من ثياب واطعمة. ولمّا رأيتُ اخوتي الرهبان اذ وطئوا البلاد الاجنبيّة اغرورقت عيني دموعاً عند ما نظرتهم لابسين ثياب الصدقة التي كان تكرّم عليهم بها تلامذة مدرستنا كمبوليد اذ كانوا يتردّدون مرّة بعد أخرى على معلّميهم المضطهدين لاجل اسم المسيح. وها انذا عن بعد اثم شاكرًا ايدي كل هؤلاء المحسنين الكرام واقبل وجنات اولئك الشبّان الاعزاء الذين دون اشارة منّا البتة اسعفونا في ضيقتنا

وكان ينتظر ضحايا الظلم والاستبداد قبل سفرهم الى المنفى اهانةٌ اعظم من الاهانات السابقة وذلك ان شيوخاً اجلاء وعلماء أعلاماً يكرمهم القاصي والداني لاجل سعة معارفهم ورهباناً ذوي فضائل تدعو بالعجب وشبّاناً في مقتبل العمر ينطق صفاء وجوههم بطهر قلوبهم قُضي عليهم جميعهم بان يمثلوا في دوائر التحقيق حيث دوّن العُمّال كل خواصّ اشخاصهم وتقاطيع اجسامهم فاخذوا صورهم الشمسيّة وقاسوهم الاقيسة الدقيقة حتى عُقَد اصابعهم كأنهم من كبار المجرمين لتُنشر في الجرائد هذه المعلومات والتصاوير الدالّة على عارهم. فلا يسعني الا ان احتجّ خصوصاً على هذه الاذيّة التي انا قاصر عن وصفها ولولا حبّ الايمان لسيدهم المصلوب المعدود بين الأثمة لما صبروا على مثل هذا الضيم

على ان في اضطهادنا امرًا آخر لا استطيع ان اغضّ عنه الطرف في هذا الاحتجاج وذلك ان الحكم الذي اصدرته حكومة الجمهوريّة الموقّتة في تاريخ ١٠ ت١ ١٩١٠ وخولته القوّة الشرعيّة يصرّح بالغاء كل القوانين الاستثنائيّة. وفي الفقرة الثانية من البند الأول تُعلن بسبب هذا الالغاء بقولها: « انهُ لم يبقَ في الجمهوريّة البرتغالية عقابات دائمة او لوقت غير محدود ». والحال انّ الحكم الذي أبرز في حق الرهبانيّة اليسوعيّة يكذّب علانيةً هذا التصريح اذ قد سُنّ في حقنا قانون استثنائي فيه من الجور والاستبداد ما يُستغرَب صدور مثله في جيل العشرين. قانون تقدّم به ظالمٌ لم يُعهَد لهُ شبهٌ في الحكومات المطلقة والأبعد استبداداً. وحتى تظهر بنوع اجلى مناقضة الحكومة الجديدة لمواعيدها الحرّة قد أُبرز في حقنا حكم نفي يفقدنا كل حقوق البرتغاليين وهذا الحكم هو حكم مؤبّد على هذه الصورة: « انهم لا يستطيعون ابدًا ان يعودوا الى اوطانهم »

ليس ما سبق سوى نظر عام اودعتهُ النزر القليل مما تكبّدناه من الاهانات والعذابات باسم الحرّية. ومن البديهي ان يسألنا هنا السائل قائلًا: تُرى ما هي الذنوب التي اوجبت عليكم هذه المعاملات الغريبة ؟

*

اني اقول في بادئ الامر انّ الذين عاملونا بتلك المصادرات الشنيعة الفظّة لم يذكروا حتّى الساعة الحاضرة ذنباً واحداً اقترفناه ليزكّوا بهِ فعلهم. وكذلك القانون الذي سُنّ في نفينا سكت عن جناياتنا وانّما استند الى القوانين المائتة التي سنّها قديماً الوزيران پبال (Pombal) واكويار (Aguiar) وأبطلها حكم هنتس ريبيرو (Hintze Ribeiro) جدّد هذا الحكم الجديد في حقّنا تعنيفات لم يُعد يُسمع بمثلها في عصرنا

ومن جانب آخر انّ ما يدعونهُ بالرأي العام مهما هيّجوه علينا بسفسطات الصحافة المادية ولغط كَتَبة متهوّسين لم يصرّح بشكاية معلومة وانّما يدّعون علينا باسم هذا الرأي دعوات مبهمة ينقلونها عن كُتب المتعصّبين العتيقة التي ألفها قوم أفكة أعمى تلبهم بغضُ الدين

فاني مهما بحثتُ ودقّقتُ في مطالعة المقالات المسطّرة باقلام اعداء اليسوعيين او الروايات التي يتناقلها في حقّنا البسطاء والجهّال لا اجد شكاية رمونا بها غير ما جمعتهُ في هذه الفصول الستّة :

١ٌ تجهيز منازلنا بالاسلحة ونقبنا فيها الاسراب
٢ٌ ثروتنا الطائلة ومساعينا في اصطياد الوراثات
٣ٌ قهرُنا الشبّان للدخول في جماعتنا
٤ٌ نظامنا السريّ
٥ٌ تداخلنا في امور السياسة وبغضنا للجمهوريّة
٦ٌ نفوذنا الارتجاعيّ

فهذه هي الشكايات التي يكررها اعداؤنا في حقّنا ولا يسعني الّا انّ اجيب عليها جواباً مقنعاً بازاء وطني في حين تضغط عليّ وعلى اخوتي يد الظلم فتقضي علينا بان نعيش بعيداً عن بلادنا كاسفي البال منكسري القلب

١ (الاسلحة والاسراب) اقول دون ارتياب اننا لم نقتنِ قط سلاحاً وليس

في بيت من بيوتنا سرب او نفق مجهول. ولعلّنا كنّا أصبنا لو فعلنا فان هذا حقٌ من حقوقنا. ولمّا رُفعت الشكوى في اسبانية على بعض منازل الرهبان بانّ لديهم اسلحة اجاب رئيس شورى الدولة امام مجلس الندوة: انّ هذا احوجتهم اليه احوال الزمان

ودونك ما جرى في مدرستنا في كمپوليد فانّ القوم دخلوها عنوة وهجموا على منافذها وغُرفها فحطّموا كل شيء وفتحوا المخازن والقوا على الارض الكتب وبعثروا الاوراق وتهددونا بالقتل. افليس هذا دليلًا على اننا كنا احسنًّا لو حصّنّا مدرستنا في وجه هؤلاء الزاحفين على الاقل لوقت قليل ريثما ينمو الخبر الى الجند النظاميين ليسرعوا وينقذونا

انّما في حقيقة الامر ما كان لدينا وسيلةٌ للدفاع عن انفسنا. ففي هذه المدرسة الكبيرة والبناء الواسع ما كان عندنا سوى بندقيتين من بندقيات الصيد ليروّح بهما المعلمون انفسهم في أيام العطلة السنويّة في بستان ڤال دي روزال. ولم يخطر على بال احد من اهل المدرسة ان يستعملهما في ساعة هجوم القوم علينا

يقولون قد سُمع في ديرنا في كولهاس (Quelhas) صوت الرصاص كما نقل الجريد الخبر ولم يكذبه بعدُ احد. أعلمُ بانّ هذا الخبر قد شاع لكنّ شيوعهُ كذبٌ ومحض افتراء. اذاعهُ نبأ رسمي ولم يكذب تماما حتّى الآن فيخص بعرضنا امام العالم. نعم ان مراسل جريدة « الوستراسيون » الباريسيّة روى عن لسان فريق لسبونة الذي اقامته حكومة الجمهوريّة بانّ بعض رهباننا كما يظهر اطلقوا البنادق مع من اطلقها. ألا انهُ ليس بالامر العسير ان يُعرف بالحقيقة من هم اولئك الذين كانوا لابسين ثوباً رهبانياً واطلقوا الرصاص لأنّ الخداع انكشف في كمپوليد فهناك ايضاً وجدوا يسوعياً كما زعموا اطلق سلاحهُ على القوم فقتلهُ اصحابهُ ووقع صريعاً على الحضيض ولمّا عرّوهُ من ثوبهِ الرهباني المستعار وجدوا تحتهُ ثوب الجنديّة

ومما لا ريب فيه انّ دير كولهاس لمّا ساورهُ القوم كان قد فرغ من سكّانهِ والرهبان اصحابهُ قد أُلقوا في الحبس منذ يومين. امّا الاسراب الخفيّة التي زعموا انّ اليسوعيين تولجوا فيها سرًّا ليطلقوا الرصاص على الشعب فانّها تخيُّلات صبيانيّة واقوال فارغة لم يستطع شاهدٌ واحد ان يثبتها حتّى الآن. وقد اعلن زائر رسمي للدير انهُ طاف كل انحاء المنزل فلم يجد فيهِ سرداباً غير اقبية البواليع

هذا ما لا يُنكر عن دير كوالهاس اما مدرسة كمبوليد فاني ازيد على ذلك بانَّ دائرتهُ كانت مجهَّزة باقنيــة عديدة للمجاري التي كانت تنقــل مياه الامطار الى الصهريج المعظم الذي ابتناهُ احد اسلافي من رؤساء الدير. وقد زار اهل الحكومة هذه الاقنية ايضاً وعرفوا حقيقتها. ومع ذلــك قد تجاسرت الصحافة المادية للدين فرسمت فوهة احد هذه المجاري وكتبت تحت الصورة "هــذا مدخل اسراب المدرسة" فأيمُ الله اني ما كنتُ لأحسب انه سيأتي على يوم "أبرى" فيه نفوسنا من جدٍّ بازاء العموم عن دعوى التسليح والاسراب السريَّة. لأنَّ هذه الروايات المنقولة عنَّا في الصحافة المعادية لليسوعيين والجديرة بخرافات الف ليلة وليلة كثيراً ما كانت تُضحكنا انا واخوتي في الرهبانيَّة ساعات العطلة فكنَّا نروّح النفس بذكرهــا هزلاً وتفكّها. ولمــاَّ اشاع البعض في العام الماضي بان اليسوعيين اخذوا في التسليح في مدرستهم كمبوليــد اتانا احد وزراء الدولة السابقــة واشار علينا بان نحصّن ديرنا في الواقع استدراكاً للخطر ولردّ غارة الاوباش. فأجبتــهُ انَّنا مستعدُّون لأن نضحّي نفوسنا فهيهات ان نتهدَّد حياة احد

٢ (الغنى واختلاس الوراثات) انَّ الرأي في ثروة اليسوعيين قد كاد يعمُّ بلاد البرتغال حتَّى انهُ كان شائعا بين اصحابنا المخلصين فضلًا عن خصومنا

فهَبْ اننا في الحقيقة اغنياء. وانَّ غنانا ليس خيالياً فــلا أرى في ذلك بأســا ولا كون الغنى الطائل ذنباً يستحقُّ النفي. ولكن هــذا الزعم في ثروتنا القارونيَّة من التلفيقات الكاذبة. ويا ليت رهبانيَّتنا كانت تملــك الكنوز في البرتغال فانَّنا كنَّا صرفنا تلك الاموال في منافع الأمَّة وخيرها لســدّ حاجاتها العديدة. الَّا ان تلــك الكنوز وهميَّة لم توجد قطّ. ولمَّا تعيَّنتُ لرئاسة اديرتنا رأيتُني مرارًا عــديدة في الضنك والمشاكل الماليَّة لا اعلم كيف اقوم بأود اخوتي الرهبان ومعاشهم

وكذلك ما يختصّ بتدبير اموال رهبانيَّتنا فانَّ الاشاعات الكاذبة التي يتناقلها الناس في ذلك لا يفي بها احصاء. وقد كنتُ نويتُ سابقاً أن ألقي بهذا الخصوص خطباً عموميَّة لولا انَّ قرار الوزير هنتس ربيرو في شأننا كان يضطرُّنا ان نعيش في بلادنا مجهولين متنكّرين فكففتُ عن الامر مرغوما. وكنت ارى انَّ ذلك القرار ضغطٌ منافٍ للعدل ولمبدإ الحرّيَّة الصحيح مع ما كان في قلبي من الحبّ الصادق نحو

الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي اراها موضوع إعجابي ووقاري. واذ اجد الآن الفرصة لذلك فاقول:

انَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في حكمها ونظامها مرتبطة بالوحدة امَّا في تدبير اموالها فهي على خلاف ذلك غاية في التفرُّد والانقسام فانَّ كل دير يدبّرهُ اصحابهُ فقط. وكل ما يرويه الناس عن صندوقنا العام الذي نصرف مالهُ في جماعتنا هو من الروايات الفريَّة التي بنى عليها اعداؤنا الاكاذيب العديدة. امَّا البرتغال فانَّ غاية ما امكن رؤساء الاديرة ان يفوزوا بهِ بعد الاقتصاد والتقتير ان يفوا بديونهم فلا يكاد يبقى لهم رصيد في آخر كل عام

ومن المقرَّر انَّ اديرتنا ما كانت تعيش الَّا من حسنات القداسات والمواعظ مع ما يتصدَّق بهِ علينا المؤمنون طوعاً. امَّا رواتب مدارسنا فانَّ ما كنَّا نصرفهُ منها لقوت تلامذتنا وحاجاتهم المختلفة ومتنزهاتهم مع النفقات العديدة لتجهيز لوازم تلك المدرسة تبقى في مقامها التعليمي وترقّيها الدائم كما يظهر من اثاثها وادواتها المدرسيَّة لم توفر لنا المال الكافي لتتمة عماراتنا فأجَّلنا البناء سنين طويلة ومن ثمَّ ما كنَّا نستطيع ان نقبل سوى العدد القليل من الطلبة. وزد على ذلك ان اضطهاد الرهبانيَّات في سنة ١٩٠١ ارعب قلوب كثيرين من الاهلين وقلَّ بذلك عدد تلامذة مدرسة كمبوليد فلم يكنَّا مواصلة البناء. وبعد هذا صرتُ رئيساً على تلك المدرسة فحاولتُ تتميم الابنية وتقدَّم العمل نوعاً الَّا انَّ الكتابات التي كان يحررها قوم من اعدائنا ضدَّنا في هذه السنين الثلث الاخيرة اتت بنتيجة سيئة فاضطررنا كما في السنة ١٩٠١ الى ان نوقف البناء منذ عامين. فتلك هي الكنوز العظيمة التي تقتنيها مدارسنا!

وماذا اقول الآن عن الدراهم التي يلزم انفاقها على دارسي رهبتنا فانَّ دروس شبَّاننا تدوم سنين طويلة وتقتضي مصاريف طائلة فلو عرف اولئك الذين يفيضون الكلام من دون تروٍّ عن سعة ثروتنا ما تستوجبهُ نفقات تهذيب شباننا لمَا تجاسروا ان يختلقوا تلك المزاعم الفارغة. فان الراهب اليسوعي يصرف بين خمس عشرة الى سبع عشرة سنة في الدروس والتهذيب الرهباني فيقضي سنتين في الابتداء ثم يتفرَّغ الى درس العلوم البيانيَّة ثم الفلسفيَّة ثم اللاهوتيَّة فضلًا عن زمن معلوم ليتدرَّب فيهِ على التعليم وفي كل هذه المدَّة لا بُدَّ لهُ من معاش ومصروف. وزد عليهِ انَّ

معظم الطالبين الدخول في رهبانيّتنا في بلاد البرتغال ليسوا من الأُسر الشريفة الغنيّة بل من عيال متوسّطة او فقيرة

فالنتيجة من هـذا انّ لمعدّل متي شمّاس يسوعي كان النصف منهم يتفرّغون الدروس في البرتغال او خارجاً عنها ما كان ادينا للقيام بمعاشهم غير ما خصّهُ بعض الرهبان لهذه الغاية من ميراث اهلهم بكرم ونزاهة الّا ان هؤلاء قليلون ومعظم الذين يدخلون في الرهبنة لم يورثوها شيئاً امّا لفقر عيالهم واماً لسبب حاجة اهلهم الى حصّتهم فاوصاهم الرؤساء بان يوزّعوا المال على ذويهم . فينتج عن كل ذلك انّ رأس المال اللازم لتهذيب شبّاننا من الرهبان لا يكفي لنفقات معاشهم لولا ان اريحيّة بعض المحسنين من اغنياء البرتغال سدّوا نوعاً هـذا العوز بهباتهم . على ان هؤلاء المحسنين قليلون جدّاً في وطننا وليس بينهم واحد اوقف على رهبانيّتنا وقفيّة كبيرة تشبه اوقاف المحسنين الى رهبانيّتنا في بعض البلاد وخصوصاً في الولايات المتّحدة في اميركا الشماليّة

ولذلك سببان الاوّل انّ الكاثوليك الواسعي الثروة قليلون عدداً في بلادنا والثاني كثرة الاوهام في غنى اليسوعيين . فذلك كان يعدل بكثيرين عن حبس شيء من مالهم على رهبانيّتنا فلم يخصّونا بقسم من صدقاتهم . وان سألت كيف اذن يدّعون عنكم بأنكم تقتنصون الوراثات ؟ اجبتُ هـذه ايضاً من الثالب والافتراءات الفظيعة في حقّنا فلا يسعني الّا ان انفيها عنّا بكل قوّة نفسي . اني لعالم ان اصحاب المراسح قد مثّلوا غير مرّة روايات تشنّع اعمال اليسوعيين وتقبّحها كأنها امور واقعيّة مقرّرة وليست هي في الحقيقة الّا تكراراً لما اخترعهُ اصحاب الكذب والبهتان في ثلم عرضنا في الاجيال السابقة . وما انا قادر على تأكيده عن البرتغال انهُ قلّما افتكر في رهبانيّتنا اصحاب الوصايا واثنان فقط منهم تركوا لنا في وصاياهم مالاً مذكوراً

ولو كان تبرّع علينا غيرهم من تركاتهم كنّا استطعنا ان نوسع دائرة اعمالنا بواسطة التعليم والطباعة ونشر الدين وخدمة الوطن ليس فقط في اوربة ولكن ايضاً في بلاد ما وراء البحر . فكم من مرّة لمّا كنتُ ارى ما يخلفهُ بعض المحسنين للجمعيّات الخيريّة من الاموال العظيمة والاوقاف الواسعة لا سيّا في پورتو كنت اقول لاخوتي

ليت شعري لو اصبنا قسماً زهيداً من هذه الموقوفات لترويج اعمالنا الرسوليّة لكان جمهور الناس صوّبوا الينا كل سهام التقريع والتشنيع

٣ (الدَّعوات القهريَّة) ما من احد يوجّه السلام الى رجل انتظم في اي شركة كانت اذا دعا هذا غيرهُ لينضمّوا اليها وذلك لاعتبارهِ تلك الشركة ولرغبته في ترقيتها. وهذه الدعوة تستوجب ثناء اعظم على قدر كمال الشركة المنوَّه بها. وعليهِ لا حرج على الرهبانيّات ان تدعو اليها اولئك الذين تجدهم اهلاً للدخول في سلك ابنائها ليقيّدوا اسماءهم بين اعضائها

على انّ الرهبانيّة اليسوعيّة تشذُّ في هذا الامر عن سائر الجمعيّات. ولعلَّ قولي هذا يذهل الكثيرين وهو عين الحق. في رسومنا وصاة صريحة تقضي علينا بألّا نجتذب احداً الى جماعتنا وغاية ما يمكننا صُنعهُ اننا اذا رأينا احداً راغباً في الدخول بيننا نعضد دعوتهُ الالهيَّة دون ان نضغط عليهِ بايّ نوعٍ كان. واني لمتأكّد أنّ اخوتي في الرهبانيّة جروا على هذه القاعدة. والحقّ يقال انّهم لو خالفوا هذه الفريضة لكانوا ليس فقط حادوا عن رسوم رهبنتنا بل لأتوا بعمل قليل الحكمة اذ انّ بين الاسئلة الاولى التي يلقونها على طالب الدخول في عدادنا سوءالاً هذا منطوقهُ: «هل احد من رهبنتنا جذبك الى الترهّب بيننا؟» وكأنهم يعلمون العلم الاكيد انّ الشبّان المدفوعين الى رهبنتنا على هذه الطريقة لا يثبتون في دعوتهم لأنّ التفاني الذي تقتضيهِ عيشة الرهبان اليسوعيين والتجرُّد الذي يستوجبهِ الخضوع لاوامر الطاعة يبلغان حدًّا لا تقوم معهُ غير الدعوة الصحيحة المرسلة من الله. امّا الدعوة المبنيَّة على سياسة البشر فعقيمة بلا شكّ

وزد على ما تقدم ان تهذيب الراهب عندنا وتخريجهُ في الآداب على مقتضى قوانيننا قبل ان يبرز نذورهُ الاخيرة لما يكفل بحرّيتهِ التامَّة لأنّهُ يبقى قابلاً لقطع كل العلائق التي تربطهُ مع الرهبنة بل تُقطع تلك الروابط فعلاً اذا لم يبرُّ بدعوة صادقة

وقد اتى خصومنا انفسهم بما يزكّينا من هذا القبيل فانّهم قبل بضعة اسابيع من اعلان الجمهوريّة نشروا في بعض الجرائد عدَّة رسائل كتبها احد رهباننا الى شابٍّ كان يطلب منذ زمن طويل الدخول في جماعتنا. فانّ هذه الرسائل تنطق

بلسان حالها عن فطنة كاتبها واعتداله وافكاره السامية المجرَّدة عن كل غاية بشريَّة فليراجعها العقلاء يجدوا احسن جواب على الافتراءات مجتمعًا. اقول هذا عن الرسائل نفسها لا عن المقدّمات والملحقات الملوَّثة خبثاً وكذباً التي اضافها الصحافيُّون للطعن فينا

٤ (نظامنا السرّي) لو صحَّ ان يكون نظامنا سرّيًا كما يقال أيليق برجال يدافعون عن الجمعيَّات السرّيَّة ان يضطهدونا لهذا السبب؟ ولكن نردُّ قطعيًا هذه الشكاية الباطلة. فانَّ رسوم الرهبانيَّة اليسوعيَّة والقوانين التي وضعها القديس اغناطيوس دي لويولا منشئها مشهورةٌ تحتوي عليها كل المكاتب العموميَّة فكلّ من شاء يستطيع ان يطالعها ويدرسها

وان قيل انَّنا نعيش في البرتغال متنكّرين اجبنا انَّ هذا قد حكم به علينا ارباب الامر المثلين لدولة تدّعي انها كاثوليكيَّة وهي مع ذلك لم تجسر ان تمنح لرهبانيةٍ مثبتة وممدوحة من الكرسي الرسولي الحريَّة التي تتمتَّع بها في البلاد البروتستانيَّة فاقتضى الامر ان نتستَّر تحت اسم «شركة الايمان والوطن» ونكتفي بشبه الحريَّة بدلًا من النفي الذي كانوا يتهدَّدونا به. وقد استمسكنا بهذه الرخصة الضيقة لنشتغل على قدر استطاعتنا لخير الدين ووطننا البرتغال

هذا ما فعلناهُ مرغومين اذ لم نكن راضين بحالتنا كأنَّنا نخاف النور والشهرة. وفي الواقع كان الجميع يعرفوننا كما نحن. ولو اراد اصحاب الامر الحاليُّون من الجمهوريين ان يتحقَّقوا بانَّهُ لم يكن لدينا داعٍ يستوجب الاستخفاء فليراجعوا ما وقع بين ايديهم من لوائحنا حيث توجد اسماء كل واحد من اليسوعيين البرتغاليين مع قائمة وظائفنا. فان فعلوا عرفوا باننا نستطيع دون ريب ان نجاهر بحقيقة حالنا وانَّ اشرف اسم يجدر بنا ان نفتخر بهِ بعد اسم المسيحيين هو اسم رهبان جماعة يسوع

٥ (التداخل في السياسة وبغض الجمهوريَّة) هذه الشكاية اسندوها الى عدَّة مقالات ظهرت في مجلَّتنا «السيَّار» (Messager) ثم بنوها على ما لاح في جريدة «البرتغال» من الخطَّة الهجوميَّة واخيرًا على الروايات الخرافية المتعدّدة التي نشرتها الجرائد بنسبة الانتخابات الاخيرة

اقول انَّ المقالات التي نُشرت في «السيَّار» هي علنيَّة يقدر ان يطالعها كل من احبَّ فانَّ التعاليم الموضحة هناك في شأن اشتراك اصحاب الاصوات بسنّ الشرائع

وتنفيذها وفي تضامن اعضاء كل حزب بتسطير لانحتهِ واثبات تقاليدهِ واجراء خطتهِ هي كلها التعاليم المقرَّرة في كل الامم التي لا يعاكس تمدُّن اهاليها حريَّة ابحاث الكاثوليك الاجتماعية فيها كما هو جارٍ بيننا لسوء الطالع . والحق يقال انَّ هذه الحقائق راهنة ثابتة خارجاً عن بلاد البرتغال منتشرة انتشاراً واسعاً بفضل مناشير الاساقفة وتعليم الاكليروس وشيوع الجرائد والكتب المتواترة . امَّا في بلادنا فكانت هذه التعاليم مجهولةً ولاجل ذلك تلقَّى الجمهور ما نشرناهُ كبدعٍ واختراعات جديدة بينما يعدُّهُ الكاثوليك في سائر البلاد كنتائج ادبية ولاهوتية شائعة مبتذلة .

ولكن هب انَّ آراءنا مخالفة لمذاهب غيرنا في هذا الامر وامور اخرى سواه فيما تُرى ايّ جنس من الحريَّة يبقى لاهل بلدٍ إن كانوا في ريبة عمَّا اذا يجوز او لا يجوز للاهوتيّ ولكاتب ادبيّ ان يوضح رأيهُ في مجلة عمومية عن احد الابحاث التي هو اعرف بها من سواهُ فيدافع عن صحتها ؟ اليس هذا الريب نفيّ كل حريَّة ؟

امَّا جريدة « البرتغال » فانَّ صاحبها نشر مؤخَّراً رسالةً بخصوصنا تعفينا من الجواب وهو هناك يؤكِد انَّ الرهبانية اليسوعية كانت براء من كل الكتابات التي نشرها في هذه المدَّة الاخيرة اي مدَّة جدالهِ العنيف مع خصومهِ

ولا اقول هذا كحجَّة فارغة او كمعذر كأنّي لا ارضى بحماسة الصحافة الكاثوليكية وخطتها الباسلة . كلَّا فان الحقيقة يجب الدفاع عنها بشهامة . أفلا ترى كيف يدَّعي اعداء الله لنفوسهم حقَّ التحامل على خصومهم بكل كلام بذيّ فيتطرَّفون ما شاؤوا ولا يرعوون عن الكذب والثلب وكل الطرائق الذميمة . نعم انَّنا لا نستطيع ان نحاربهم بسلاحهم لأنَّ ذلك بعيد عن تعاليم الكنيسة وآدابها ولكن ألا يلزمنا على الاقلّ ان نشدّد عليهم النكير ونجيبهم الاجوبة المسكتة بلا غرض شخصيّ ولا تحمُّظ زائد ؟

هذا واني اعلم انَّ احدى جرائد الاباحيين نشرت مكتوباً خاصاً كتبتُهُ لاحد الكاثوليك وحضضتُهُ فيهِ على اسعاف جريدة « برتغال » . فأضرب اولًا صفحاً عن سوء ادب الجريدة المذكورة التي تستند الى رسائل شخصية ولاسيما انَّها اضافت اليها اقوالًا عدائية لتؤوّل كلامي على هواها . ثمَّ اقول ان غاية ما يؤخذ من رسالتي اني اوافق الجريدة على خطتها في عملها الاخير واستصوب طريقتها في المدافعة عن الدين

فاين الذنب في ذلك. ولو افترضنا ان احد اليسوعيين كتب المقالات العنيفة التي لاموا الجريدة عنها أفي ذلك ذنب ما ؟ لا لعمري

ولنأتينّ الآن الى الانتخابات الاخيرة فاني اعلن على رؤوس الاشهاد باني اكذب كل التلفيقات التي نشرها بهذا الخصوص صحافيون خالون من كل دين ولا ذمّة لهم في حقّ الرهبان كاقوالهم المجانزيّة في اليسوعيين أنهم كانوا رافعين الصليب يطوفون في البلد ليجمعوا اصواتا لحزب النيوناليست وانّ وعاظهم كانوا يتهدّدون بالجحيم كل من لا يصوّت للحكومة وغير ذلك من الخرافات التي يتناقلها قومٌ لا يعرفون من امور رهباننا وعاداتهم شيئا. فانّ مثل هذه السخافات لم تخطر في بال احد منّا. لا بل اقول وان كان قولي يذهل البعض ان قايلين فقط من رهباننا ذهبوا الى التصويت. امّا سبب امتناعهم فلا يعني ذكرهُ هنا. وانّا اكتفي الآن بهذا القول انّ التصويت في الاحوال الحاضرة لفرضٌ واجب لا يجوز لاحد ان يمتنع عنهُ الّا على طريق الشذوذ او لاسباب ثقيلة. فانّهُ من الامور المعلومة انّ حكم الملكيّة الاخير جاهر بمعاداته للدين ولذويهِ وبعد ان تطاول اربابهُ في امور كثيرة على حقوق الكنيسة اخذ يضطهد الجمعيّات الرهبانيّة حتى عرف كلّ من لا يعمي بصرهُ عن مشاهدة النور انّ نيّاته من هذا القبيل كانت عدائيّة كما ظهر في الاحكام التي صادق عليها الملك في اليوم السابق لخلعهِ وذكرتها الجرائد مؤخرًا بعد سقوط الملكيّة. فى الحالة هذه أكان يستطيع الكاهن الكاثوليكي ان يسكت عن تلك الغارات وينسى واجباته المقدّسة المفروضة عليهِ من حيث هو ربينة لشعب الله ولا يشير الى الخطر اللاحق بالدين فيصرخ كالقديس يوحنا السابق بازاء هيرودس " لا يجوز "

فمن هذا الوجه كما من وجوه أخرى قد رماني اعداء رهبانيّتنا بسل شرّفوني بتُهمهم واكاذيبهم فزعموا اني منذ توليت رئاسة جمعيّتنا في البرتغال سرتُ على خطّة جديدة. فايم الحقّ لم يجدني احد قطّ بصفة رئيس اني تداخلت في امور السياسة او اشرتُ الى احدٍ من مرؤوسيّ الى ان يتداخل فيها. ليس لرهبانيّتنا سياسة غير سياسة الصلاة الربيّة " ليأتِ ملكوتك ولتكن مشيئتك في الارض كما هي في السماء "

نعم اني لعالم العلم الأكيد بانّ اعداء الله وكنيستهِ لا يمكنهم ان يغفروا لنا سيرنا على هذه السياسة الالهيّة وسعينا الدائم في اخراجها الى حيّز الوجود وليس سبب

اخر لبغضهم المطبّق لنا في كل زمان غير هذه الخطّة. فهما اختلفت الشكايات والدعاوي الباطلة التي احتُجَّ بها في كل الازمنة وكل الامكنة لاضطهاد رهبانتنا فانك تجد الموجِّهين الينا تلك الشكايات انما هم على الاطلاق اعداء الله واعداء الكنيسة الكاثوليكيَّة

ولا اطلب برهاناً آخر لتأييد قولي غير الوقائع الجارية اليوم. يقولون اننا نحن اليسوعيين ألدُّ اعداء الجمهوريّات وأنهُ ينبغي لاجل ذلك ان نُعامَل بقساوة اعظم من غيرنا. يا لها من حجة فارغة فانَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة لا تنقم مطلقاً على الدول الجمهوريّة من حيث هي كذلك. والدليل عليهِ انَّ كتبة رهبانيَّتنا المعدودين كأئمّة الكتّاب في العلوم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة دوّنوا في تآليفهم بكل دقّة الاصول التي هي اساس الحكومة الديموقراطيَّة وذلك عند ما كانت كل دول اوربة خاضعة لاوامر الملكيَّات المطلقة. واليوم ان سرَّحنا النظر في رهبانيَّتنا وجدنا ان افضل الاقاليم الراقية في معارج النجاح واعظمها تمتُّعاً بالحرّيّة انما هي الاقاليم الواقعة في الجمهوريّات. مثال ذلك اقاليمنا الخمسة المنشأة في الولايات المتحدة في اميركة الشماليّة. فليس اذن ادنى مناقضة بين اليسوعيين والحكم الديموقراطي

وان قال قائل انَّ اليسوعيين كانوا في البرتغال اعداء الجمهوريّين اجبنا انَّ اليسوعيين حيثما حلّوا يؤيدون الحكومة المحليَّة كما تفعل الكنيسة عينها. ولمَّا كانت الحكومة ملكيَّةً في البرتغال قبل زمن قليل جرى اليسوعيُّون على هذه السُّنَّة. وكان لليسوعيين سبب آخر لعدم رضاهم بالنهضة الجمهوريّة البرتغاليَّة وذلك انَّ هذه الجمهوريّة ليست الجمهوريّة النظريّة التي يعرف فضلها اصحابُ الابحاث الاجتماعيَّة لكنَّها جمهوريَّةٌ وضعيَّة تتركَّب من اشخاص معلومين. ومن هم يا تُرى اولئك الجمهوريّون البرتغاليُّون؟ رجال معادون للدين معطِّلون يدافعون عن الالحاد والزندقة او قائلون على الاقلّ بتجرُّد الحكومة الرسمي عن كل مذهب. هذا على وجه العموم بالنسبة الى معظم زعماء الحزب الجمهوري ما خلا بعض الافراد القليلين. فان كان الامر كذلك كيف كان يمكننا دون مناقضة لتعليمنا بل دون خيانة نحو مبادئنا الدينيَّة ونكران حقوق الله على الهيئة الاجتماعيَّة ان نجاري ثورةً تؤدّي بالحكم الى ايدي مثل اولئك الرجال. وتراهم اليوم بما يأتونهُ من الاعمال السيّئة يثبتون في

اعين العالم بأننا احسنّا بمناهضتهم كما انّ الحكومة الملكيّة الاخيرة اثبتت باعمالها كم كان ظنّنا فيها باطلًا. على اني اقرّ جهارًا باني كنت دائمًا اتخوّف مآثم الحزب الجمهوري وتعصّب هؤلاء المتشدّقين باسم الحريّة لكني ما كنت لاتصوّر انّ اعمالهم ستبلغ الى حدّ ما نراها عليه اليوم

٦ (الفعل الارتجاعيّ) قد فنّدت كل المزاعم الكاذبة التي يستند اليها اصحاب الحكومة الجديدة ليزكّوا نفوسهم من همجيّتهم ويتنصّلوا من دوسهم بالارجل لمبادئ الحريّة ومن اعمال ظلمهم واستبدادهم التي انا واخوتي اضحينا ضحاياها. فما بقي الّا حجّة واحدة يكرّرها الناس عند انقطاع حجّتهم في بيان صدق مدّعياتهم فيقولون أننا ذوو نفوذ ارتجاعيّ

اقول يصدق اعداؤنا ان ارادوا بالفعل الارتجاعي روحَ الامانة والحب للكنيسة الكاثوليكيّة وتضحية نفوسنا لاجل السيّد المسيح وثباتنا الشديد على ناموسه دون ان نخلّ منهُ بحرف واحد. وكذلك يصدقون ان قصدوا بهذا النفوذ سعينا المتواصل في تأديب الناشئة وتعليمها في مدارسنا مع التفاني في تهذيبها على اصول الدين ليكون الطلبة مسيحيين صادقين ونغني البرتغال بجمّ غفير من الكاثوليك ذوي الشهامة والعمل المواظبين على الصلاة المستعدين ان يجدّدوا كل شيء في المسيح بواسطة كلامهم ولمثالهم. وكذلك ايضاً ان ارادوا بالارتجاع اتخاذنا كل الوسائل التي في امكاننا كالوعظ وتوزيع الاسرار والتعليم والصحافة لنولي الله المجد الذي يستحقّهُ ونخلّص ما استطعنا من النفوس. فان كان هذا مرادهم بروحنا الرجعيّ نعم اننا نبوء باثمنا فنحن رجعيّون قد اقترفنا اثم الارتجاع

ويا لهُ من اثم غريب ومن ذنب عجيب في بلد يصرخ ذووهُ الى اربع خوافق المعمور « حريّة الضمير حريّة الكلام حريّة الصحافة ». نعم حبّذا الاثم الذي يقرفنا بهِ رجال كانوا يتجنّون على الحكومة الساقطة بانها تحصر الحريّة اذ كانوا في منتدياتهم وفي اعمدة جرائدهم يرشقون السلطة وأربابها بألسنة حداد ويهيّجون عليها كل الاهواء الباطلة. والعجب العجاب في ذلك انّ الذين اليوم يتحاملون علينا ويشنّون علينا الغارات هم هم اولئك الذين كانوا لا يزالون يكرّرون انّ كل انسان حرّ بنشر افكاره والدفاع عن آرائه

وايّ وسائل يا ترى توسّلنا بها لبلوغ غايتنا؟ هل وجدونا في جنبنا النير الى اذاتنا وتقيّنا منهم لمقاومتنا نتهجّم على بيوت الناس او نستولي قهراً على مقتنياتهم؟ هل رأونا نتهدّدهم بالحبس او نسحبهم في الازقّة معرّضين لشتائم القوم او نلقيهم في السجن او نفصلهم عن هناء حياتهم الوطنيّة والاهليّة او ننفيهم عن مسقط رأسهم ابداً؟ كلّا ثم كلّا فاننا لم نتخذ البتّة وسائل كهذه. وانّما يتّخذها اولئك الذين يعظّمون الحريّة وبدلًا من ان يقوموا في وجه خصومهم ويردّوا على براهينهم بالبراهين مثلها ويفنّدوا اقوالهم بالحجج الراهنة والطرائق الادبيّة يرون طريقة اسهل واقرب لادراك مآربهم بان يسدّوا افواه خصومهم بالقوّة وينفوا من تخوم بلادهم اولئك الذين ينشرون التعاليم المخالفة تعاليمهم اذ لم يجدوا حتى الآن سبيلًا الى تفنيد ادلّتهم بغير الكلام الفارغ والسباب

فلدى نظرنا هذه اعمال الجور التي يتأفّف منها كل عاقل. لدى هذا النهب والسلب الفظيع. لدى هذا الاستبداد البالغ الذي تزيد شناعتهُ مع تهكّم اصحابهِ الذين يزعمون انهم يصطنعون كل ذلك باسم الحريّة أفما يحقّ لنا بان ننشر هذا الاحتجاج ونُسمع وطننا صوتاً تخنقهُ العبرات صوت التأسّف والحبّ معاً

وبهذا الكلام الاخير قد كشفت عن اقصى افكاري ومكتونات صدري. فرغماً عمّا اشعرُ بهِ من المرارة لما لحق بالابرار من الظلم القبيح أوكد بان في قلوبهم غالبةٌ عواطف الاسف والغفران

نتأسّف لأنّنا نُفصَل عن وطننا العزيز الذي يريدون ان يصدّونا عن ان ندعوهُ بهذا الاسم لكنّنا نقيم على حبّنا لهُ حبًّا رقيقاً ما دامت فينا نسمة حياة. نتأسّف على كل هذه المشروعات الخيريّة التي خصصنا بها حبّة فؤادنا وخيار مساعينا. على هذه الكنائس التي بشّرنا فيها بالانجيل والقينا المواعظ. على هذا الاكليروس العالي الذي لستحقّ شكرنا بلطفهِ وثقتهِ بنا. على هذه الجمعيّات الرهبانيّة التي كنّا نكرمها والتي نحسدها على ما يُترك لها من الحريّة لمواصلة اعمالها وان كانت دائرة هذه الاعمال اضحت لها حرجةً ضيقة. نتأسّف على جماهير اهل الوطن الذين كانوا يبادلوننا الحبّ والاكرام. على الاصدقاء. والمحسنين الذين كانوا في الجمعيّات التقويّة التي انشأناها لخير الرجال والنساء. يقدّرون اعمالنا شاكرين ويعدّون بكل نزاهة ايدي المساعدة لتنمية

لثار غيرتنا. نتأسف على تلك الناشئة التي كنّا ووددنا لو ضحّينا حبًا بها الف حياة

ونضيف الى شاعرة الاسف عاطفةً اخرى نجود بها من صميم القلب اي شاعرة الصفح والغفران. فان كان الربّ الاله امكنهُ ان يصرخ من علوّ صليبهِ "يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يفعلون" فلِمَ لا نردّد نحن هذا القول في سبيل أناس رُبّما طاوعوا في الغالب لمّا اضطهدونا دواعي الاوهام العمياء. ولِمَ لا نكرّرهُ في سبيل الذين جرّدونا من مقتنياتنا ونفونا وهم لا يعرفوننا الّا بما استشفّوهُ من وراء كتابات اعدائنا الملوّنة بغضًا والمفعمة عداء

ومن ثمّ في وسط دموعنا وبلايانا المرّة وبينما نفثات بحجز المنفى لا تزال نفكّر فيهم ونتضرّع الى الربّ الاله الذي ينير العقول ويمسّ القلوب ان يضيء ابصارهم بنور الحقّ الساطع. ونلتمس من جلالهِ تعالى أنْ تُساس بلاد البرتغال بروح الحرّية الحقيقيّة وانّ السيّد المسيح الذي هو "الطريق والحقّ والحياة" يقود وينير ويحيي الوطن الذي نحن مرتبطون بهِ باعظم روابط الحبّ

كتبهُ في مدريد في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٠

الاب لويس غنزاغا كبرال اليسوعي رئيس اقليم البرتغال

زراعة التبغ التركيّ في لبنان

للشيخ يوسف افندي الجميّل الاجنائي القانوني ورئيس اعمال المختبر الكيماوي سابقًا

توطئة

كثيرًا ما كنتُ اسمع في غضون دروسي الصيدليّة كبار التجار المتعاطين للتبغ اللبناني ولاسيّما اهل وطني بكفيا المتقدّمين على غيرهم في هذه التجارة يتذمرون ممّا اصاب بضاعتهم من التقهقر والهبوط في اسواق مصر حيث زاحمها التبغ التركيّ مزاحمة أدّت بعد زمن قليل الى رواجهِ العظيم مع كساد الصنف الكوراني

وقد خطر على بالي مذ ذاك الحين ان افحص كلّ هذه اجناس التبغ واحللها تحليلًا كيمويًا فباشرتُ بالامر في شهر ايّار من السنة ١٨٩٥ تحت نظارة استاذي العالم العلّامة والمأسوف عليهِ كثيرًا الاب سولران اليسوعي في المختبر الكيموي الذي

جهّزه المكتب الطبّي الصيدلي الفرنسوي حيث كانت عُهدت اليّ ادارة اشغاله. ومما وجهتُ اليه النظر خصوصاً حينئذٍ ما تحتويه ضروب التبغ من النيكوتين وهي اخصّ المواد القلويّة الضارّة التي يحتويها هذا النبات. فكانت نتيجة اجهاتي ما دوّنته سابقاً في التأليف الذي صنّفهُ اخي الدكتور امين الجميّل سنة ١٨٩٧ في «قانون الصحة». فكانت خلاصة محبراتي انّ اصناف التبغ اللبناني حاصلة على مزيّة كبيرة وفضل عظيم على سواها بخصوص قلة النيكوتين فيها بيد ان التبغ التركيّ يفوق اللبناني برائحته الزكيّة التي يعتبرها اصحاب التدخين اي اعتبار

فمذ ذاك الحين فكّرنا في زراعة التبغ التركيّ في لبنان بعد اختيار بذوره رجاء ان نعيّم في الجبل تربيته فنحصل بذلك على مزيّة التبغين اعني ذكاء رائحة التبغ التركيّ مع قلّة المواد الضارّة وعلى الاخصّ النيكوتين التي يمتاز بها التبغ اللبنانيّ

ففي السنة ١٩٠٥ خرجت هذه الافكار الى حيّز الوجود فنالت رضى اصحاب الخبرة في مصر بفضل مساعي ابني عمّنا كنج والياس الجميل اللذين يديران معملاً لها كبيراً في المنصورة منذ اعوام مديدة. ولم تزل اختباراتنا الزراعيّة تتقدّم سنة بعد سنة في الوطن بالنجاح والرقيّ المأمولين. وفي السنة ١٩٠٨ نُقلت من هذا التبغ الجديد كميّة وافرة الى انطلياس حيث أُنشئ «معمل التبغ والسواكير اللبنانيّة» باسم يوسف جميّل وشركاه. وقد كان هذا المحلّ أُعدّ سابقاً باتقان وجُهّز بكل اللوازم فدخلته في وقت واحد كميّات من التبغ المستحضر للشرب على افضل الشروط واوفقها. وكان منهُ اصناف مختلفة على حسب اذواق الشاربين وقدرتهم الماليّة

فجاء النجاح حليف الآمال منذ الاوّل كما هو معلوم رغماً عمّا اعترضنا من العوارض والمعاكسات. فاخذت من ثمّ حركة الاعمال والاطماع بالارباح تتهافت على هذا الفرع الجديد من الزراعة الوطنيّة وتجارتها. ونهض اصحاب الهمم من كل صوب لينشئوا محلّات غيرها فمنها ما دارت اشغاله ومنها وهي الاكثر عدداً ما يؤمّل تشييها فعلاً. وهذا كان مقصودنا لمّا قاومنا احتكار التبغ في لبنان (١). فنتمنى من

(١) نشكر كثيراً بهذه الفرصة جميع الجرائد الوطنيّة والمصريّة وخاصّة «البشير الاغرّ» المبرورهُ من اضرار الرسم الذي نوت وضعه حكومة لبنان على علب التبغ اللبناني مع ما فيه من خرق امتيازات لبنان العزيز ونظامه

صميم القلب النجاح لهذه المشروعات كلها رجاء ان يجد فيها الجيل موردًا جديدًا لترقيه وتحسين احواله. وليست غايتنا من الصفحات الآتية غير خير الجمهور ليستفيد مواطنونا من ثمرة اختباراتنا المتوالية لزراعة التبغ منذ سنين عديدة. ويا حبذا لو امكننا ان نوسع نطاق زرع الصنف التركيّ وتحسينه في لبنان وتنمية استثماره فتزيد بذلك موارد الربح والخصب في وطننا العزيز

بحث اول

في المشاتل

اختيار التربة

انّ التربة التي تصلح لمشاتل التبغ يجب ان تكون من حيث تركيبها شبيهة بتربة استنباته. وعلى الزارع ان يختار ارضاً ليّنة متفتّتة تتخلّلها المياه بسهولة. فلو كانت التربة جامدة صلبة لا تيسّر نقل المغارس في الوقت اللازم الى مكانها فضلًا عن انهُ يمكن من جزّاء ذلك أن تتقصّف اصولها الفرعيّة رغماً عن كثرة سقيها بل يمكن ايضاً ان ينكسر جذرها المتأصّل في التربة. زود على ذلك انّ التربة الصلبة تحفظ الماء في الغالب مدّة طويلة وليس ذلك موافقًا للغروس كما سترى

والتربة اللائقة لذلك هي التربة الحمراء الضاربة الى القرمزيّة سواء كان لونها كثير النصوع او قليلهُ مع تغشّيها شيءٌ من الرمل. وتُصلَح صلابتها بان يزاد فيها الرمل فيُدمج بهِ سطحها بالمِلْقَة

استحضار التربة

ينبغي ان تُحرث التربة المعيّنة حرثًا جيدًا خمس او ستّ مرّات تباعاً مرّة كل يوم وبَعْد الفلاحة تُنزَع من الارض الحجارة والحصى وعلى الاخصّ ما ينبت فيها من الاعشاب الباطلة وذلك بنسف الارض دفعات متوالية وبكل عناية

ثم تُقسم الارض قطعاً متعدّدة يدعونها مساكب يكون عرض المسكبة مترًا امّا الطول فكما شئت والأَولى ان لا يزيد على خمسة امتار ليسهل مرور الصنّاع والفلّاحين وتصرُّفهم في اعمالهم كالنسف والسقي وغير ذلك. ويجعل بين المسكبة والمسكبة

فسحة نصف متر. ولتكن تقاطيع الارض حسنة الهندسة متساوية الخطوط مضبوطة بخيط البنّاء المربوط بوتدين على طرفي المسكبة

ويُرفَع سطح كل مسكبة عن الفسحة التي قربها بنحو ٢٥ الى ٣٠ سنتمترًا ثم تُحفر على دائرة الارض كلها حفائر دون الفسحة المذكورة يكون عمقها من خمسة الى ستة سنتمترات في عرض ٥٠ س تقريباً . والغاية منها ان تكون مسايل تجري فيها مياه الامطار عند انصبابها المدرار وتنحدر اليها مياه السقي الزائدة عند حاجة المشاتل ولا بُدَّ لهذا السيل من منفذ لينصرف منهُ الماء عند الحاجة

امَّا السبب لرفع سطح المساكب فلكي لا يتأخَّر جفافها النوعيّ بعد المطر الجود والسقي الوافر لانَّ المشاتل تحتاج الى سقي متواتر ولكن يلزم ان تكون قاربت الجفاف قبل تكرار سقيها اذ انَّ الرطوبة الزائدة والمتواصلة تأتي بغروس ضعيفة ضئيلة قصيرة الساق

وبعد ان تسوَّى المساكب وتُسطَّح ينبغي ان يُستَّد سطحها بسماد منعَّم ومغربل من زبل الماعز او الغنم على سمك نحو سنتمترين ونصف. ثم يسلقون وجه الارض سلقاً حسناً وربما يمزج السماد بالتربة ليكون سطح المساكب مختلطاً اختلاطاً سوياً متجانساً على عمق نحو ستة سنتمترات. فاذا تمَّ اصلاح المساكب على هذه الصورة اصبحت قابلةً للبذور ولكن ينبغي ان يكون ذلك السطح حينئذٍ يابساً يبساً تامًّا

زرع البذور

سيأتي الكلام بعد هذا عن اختيار البذر وتجهيزه ونحن نفترض الآن انَّهُ حسن صالح فنبيّن هنا كيف يُزرَع. اعلم انَّ الغرام من البذر يبلغ نحو سانتمترين مكعَّبين فاذا زُرعت هذه الكميَّة في مسكبة مربَّعة قياس كل جانبٍ منها متر بلغ عدد الانصاب المفيدة للغرس الثاني نحو الالف. وهذه البذور لا تُلقى توًّا في المسكبة لأنهُ يصعب بذلك حسن توزيعها واستنباتها . فالأولى ان تُخلط كما هو مألوف بدقائق منعَّمة كالرماد او الرمل ويفضَّل الرماد . اوَّلًا لسهولة استحضاره ثمَّ لأنَّ الرماد بسبب تركيبه يُعَدّ من اطيب السماد واصلحه . ولهُ مزيَّة اخرى كونهُ سنجابيّ اللون فالبذور اذا أُلقيت عليهِ ظهر لونها الاسود في اجزائهِ وتيسَّرت معرفة تقسُّمه

فيؤخذ من طرفٍ مثلًا خمسة غرامات اي عشرة سنتمترات مكعَّبة من البذر

ومن الطرف الآخر يؤخذ الف سنتمتر مكعّب اي ليتر من الرماد الجاف المنخّل ثمّ يجعلون الرماد في صحيفة معدنيَّة مستديرة مقعَّرة ثمّ يكبُّون شيئاً فشيئاً بذور التبغ في الرماد ولا يزالون يهزُّون الصحيفة ليصير الاختلاط تامًّا. ثم يتحقَّقون ادراك غايتهم بان يلامسوا الرماد بكفّ اليد ويقلبونهُ قلباً منحرفاً من اسفل الى فوق فتظهر بذلك بذور التبغ منبثَّة في وسط الرماد . ويتابعون تحريك الصحيفة الى ان يتحقَّقوا كون البذر اختلط مع التربة اختلاطا كاملًا ويزرعونهُ على مسافة خمسة امتار طولا فيكون مجمل ما يُزرع من البذر خمسة غرامات تُستنبَت في خمسة امتار من المساكب فتكون الشاتل نحو خمسة آلاف يحسن بالزُرّاع ان ينقلها الى مغارسها في اوانها

وان احتاج الزارع الى زرع اراضٍ واسعة من جنس بذور واحدة لامكنهُ ان يخلط كمّيات اوفر من الرماد والبذر ولكن يحسن بهِ وقتئذٍ ان يزن او يحدّد بالمعيار الكميَّة اللازمة لكل قطعة ذات خمسة امتار

ويجوز ان تُبذر البذور باليد مختلطةً بالرماد فيلقيها العامل من علو ٢٥ سنتمترًا وينثرها نثرًا شديدًا بسرعة بحيث تنتشر الحفنة الملقاة من احدى جهتي المسكبة الى ما وراء مركزها ويواصل عملهُ هذا في تلك الجهة حتى يبلغ الطرف ثمّ يصنع كذلك في الجهة الموازية وعلى هذا المنوال ينال وسطُ المسكبة حصَّتهُ من البذور اذ لم يبلغهُ من كل جهة غير قسم منها وتُصبح طبقة الزرع متجانسة والبذر منتثرًا على سطح المسكبة كلها على سواء

ولا بأس ايضاً ان تُذرّ البذور المختلطة بالرماد بواسطة المُنخُل فتُنخَل فوق المساكب بيدوء ولكن يجب على الزارع ان يخلط بيدهِ من وقت الى آخر ما بقي في المنخل لئلَّا تطفو البذور بحركة المنخل فوق الرماد وهي اثقل منهُ نوعاً . وهذه الطريقة اضبط من سواها وتليق بالذين لا يحسنون نثر البذور بيدهم او يحتاجون الى زرع مساكب قليلة الاتّساع . والأَولى ان يختار الزارع وقتئذٍ زمنًا صحوًا لا تهبُّ فيهِ الريح او يقي المُنخل من حركة الهواء بحصيرةٍ او ستار آخر يمسكهُ رجلان فوق يدهِ ويتبعانهِ في حركاتهِ

وبعد نثر حبوب التبغ تُكدَس المساكب كدساً خفيفاً وذلك بان تعمد الى

لوح يبلغ سمكه نحو خمسة سنتمترات وعرضهُ ٢٠ سنتمترًا في طول ٥٥ س ويُمرّ على المسكبة بحيث طولهُ متر واحد مثبتٌ في وسط اللوح فيجيء على سطح الساكب ذهاباً واياباً بدون ان يقع اللوح عنها اكثر من ٣ الى ٥ سنتمترات. ويكون العمل على شبه الزرع فيُبدأ به من احدى الجهتين الى طرفها ثمَّ من الجهة الموازية كذلك. وان لم يحصل الزارع على آلة كالتي وصفناها امكنهُ ان يستعيض عنها بظهر مسحاة ساوية

واذا تمّ كدس الساكب يذرّون فوقها طبقةً من زبل المعز او الغنم نحو سنتمترين ونصف بعد دقّهِ وغربلته. وهذا السماد يُنثر اولًا فوق المسكبة نثرًا اجماليًا ثمَّ يُساوى على سطحها منظّماً امّا باليد او بقطع ساوية من الواح الخشب عرضها خمسة سنتمترات في طول ٥٠ س

وفي ذرّ الزرع يحسن بالزارع ان يحمل الوعاء على صدره ويمسكهُ باليد اليسرى ثمَّ ينثر الرماد مع البذور باليمنى بحيث تكون الساكب على طرفي الايمن وهكذا يصنع في الكدس

ويلحظ الزارع الزمان فان رأى المطر قريباً اكتفى به لسقي الزرع والّا فيعمد الى مرشّة دقيقة الثقوب فيسقي الساكب من علوٍ قليل لئلا يسحي الماء بالبذار او يجدّ الساكب. والغاية الكدس ليثبت البذر في مكانهِ على قدر الامكان فلا يدفع به الماء. ولكي ينبت في ارض ماكنة معتدلة الصلابة لانها اذا زادت صلابتها ربّما ضعف النبات عن مدّ عروقهِ في الارض فيذبل. ومن منافع الكدس انّ الشتائل تقوى اكثر على احتمال الجليد اذا حدث

واذا بقي الزمان على جفافهِ يجب سقي الساكب حيناً بعد حين كلّ اربعة او خمسة ايام الى ان ينبت الزرع تامّاً

والقاعدة في لبنان انّ الوقت الموافق لزرع التبغ متوسّط بين اوائل كانون الاوّل وآخر كانون الثاني. وان تأخّر الى شباط فات وقتهُ

واذا كان الزرّاع كثير الارزاق ويخصّ بالتبغ قسماً كبيرًا منها فالأجدر به ان ينثر البذور في غضون ازمنة شتّى ليستطيع عند نقل الشتائل ان يقوم بالعمل على فضاء منذ اوائل نيسان الى آخر ايار. فاذا اتّسعت الساكب ولاسيما اذا قلّ عدد

النقلة قصر عليهِ الوقت. وهذا الاحتياط مفيد ايضاً لاستدراك ما يمكن حلولهُ من الحرارة بسبب البَرْد او الجليد اللذين يتهددان المشاتل السريعة النمو

واحسن طريقة لاتقاء اضرار الجليد والبرد ان تُبسَط فوق المساكب حُصُر او بواطير وانسجة غليظة كالجنفاص فتُعلَّق على علوّ ٢٠ او ٢٥ س وذلك بان تُغرز في الارض على اطراف المساكب اوتاد يدقونها متساوية على مسافة متر بعضها من بعض ويضعون اليها الأقصاب. فان صفا الجوّ ازالوا الحُصُر عن وجه المساكب في النهار امّا في الليل فتُغطّى ابداً

في الجهات التي يقرس فيها البَرْد فيبلغ درجات واطئة الافضل ان تُجعل ألواح المساكب في أُطُر او جرّارات خاصّة بها لتنجو من آفات الشتاء. وتنمو بسرعة. امّا في السُّهول وشواطئ البحر والاودية الدافئة فانّ ذلك من النوافل وزيادة في الكلفة

وان شاء احد توفير الحُصُر والبواطير امكنهُ ان يستبدلها باغصان الصنوبر الخضراء او بالاعشاب الدغلة والاشواك. فاغصان الصنوبر تصون المساكب في حرارتها وتُسرع إنباتها ولكن يُقتضى نزعها قبل اشتداد المغارس لئلّا يُحجب عنها النور فتضعف بذلك. والدَّغل اقلّ حرارة وانّما يمكنهُ ان يُحفظ زمناً اطول. وكذلك يصلح الدَّغل لوقاية الزريعة من البَرْد حتى بعد نموّها وذلك بأن يُعلَّق فوق اوتاد صغيرة. امّا اذا بلغ النبات نموّاً كافياً فلا بُدّ من نزع الاغطية عنهُ مهما كانت ليقوى بالنور ويشتدّ في وجه الانواء

على انّ السهول لا تحتاج غالبًا بان تُستَر بالاغطية ولاسيما اذا بُذرت الحبوب في كانون الثاني (لهُ بقيّة)

النابغة لويس باسطور

١٨٢٢–١٨٩٥

للاب جاك هرتو اليسوعي

نشر الكاتب الالماني البروتستاني الدكتور دينرت (Dinnert) كتاباً لخّص فيه احوال علماء الاجيال الاربعة الاخيرة من حيث الدين. فعدّد ثلثمائة من العلماء

اشتهروا في هذه الحقبة بمعارفهم الطبيعيَّة واثبت انَّ ٢٤٢ منهم كانوا من ذوي الدين. امَّا في القرن التاسع عشر فقط فقد وصف ١٦٣ عالماً اثبت ان ١٢٤ منهم كانوا من المتدينين اعتقاداً صادقاً بالخالق القادر على كل شيء وبالحياة الابديَّة يصرّحون بمعتقدهم ولا يستحيون منهُ و٢٧ لم يصرّحوا بهِ في مؤلفاتهم و١٢ فقط كانوا من المرتابين في الدين او الملحدين

وبين الأعلام الذين شرَّفوا الانسانيَّة في القرن التاسع عشر بدينهم وعلمهم معاً ورقّوا المعارف البشريَّة وخفَّفوا وطأة الاوجاع والآلام عن بني جلدتهم ونجَّوا من العاهات الوفاً لا تُحصى وفتحوا لخلفائهم فتوحات العلم الصادق امتاز العالم المشهور لويس باسطور من ازدان مفرقهُ بتاج العلم فاقرَّ لهُ بهِ القاصي والداني ولم يُنكره عليهِ حسود او عدو لما ازدان بهِ هذا العلَّامة من صدق المعتقد وسمو المدارك وسلامة السريرة ولين الجانب فنال إجلال المخالفين والخصوم انفسهم

وُلد لويس باسطور في فرنسة في مدينة دُول (Dole) من اعمال « فرنش كُنته » من عائلة قليلة الثروة عريقة في التدين والآداب فكان ابوه يعيش من شغل يديهِ. ولمَّا شبَّ تلقى العلوم اوَّلاً في مدارس اقليمهِ ثم ذهب الى باريس وعكف على العلم فنال منهُ حظاً وافياً ثم درس العلوم الطبيعيَّة فاتقنها حتى جُعل استاذاً للطبيعيَّات والكيميا في مكاتب عديدة الى ان نُقل الى باريس وجعل يتابع دروسهُ الدقيقة واكتشافاتهِ البديعة التي فتحت للعلوم ميداناً كان مقفلاً. واوَّل ابحاثهِ كان في صفات البلور واستقطاب النور حلًّا لمسألة عويصة عرضها على زملائهِ العالم الالماني ميتشرليك (Mitscherlick) فنال بسطور بملحوظاتهِ شهرة كانت اول مرحلة من اكتشافاتهِ وشهرتهِ في عالم العلم

وما لبث ان جعل نصب عينيهِ مشكلاً كان من ادقّ المشاكل الطبيعيَّة وهو سرّ الاختمار وسببهُ. كل يعرف بالعين مشاهد الاختمار في السوائل فانَّ حققت عصير الكرمة اختمر فستحال سكّر العنب الى الكحول واصبح خمراً طيبة ثم تطرأ عليها حوادث تبدل حلاوتها الى حموضة الخل ثم يتغيَّر الخل فيعفن ويفسد. وقس عليهِ ما يطرأ على الحليب وغيره. فذهب العلماء مثل ليبيغ (Liebig) وبرزاليوس (Berzelius) وغيرهما في هذا السرّ الغامض مذاهب شتَّى لم تكن الَّا من باب

الحدس والتخمين. امّا باسطور فلم يكن ممن يرتضي بغير البرهان العلمي فواصل التجارب في مواقع اخرى الى ان اثبت بالمجهر والامتحان ان الاختمار متولد عن ذوات حيّة يحمل الهواء جراثيمها فيلقيها في الوسط المُناسب فتتوالد وتنمو. فاذا ما غليت السوائل فماتت الجراثيم ولم ينفذ اليها الّا هواءٌ نقيٌّ معقَّم خالٍ من كل جرثومة امتنع الاختمار. فكان هذا الاكتشاف البدنيّ اساساً علمياً جدَّد المعارف الطبيعيَّة وفتح باباً جديداً للبحث والتنقيب. وقد تتبعهُ باسطور وحذا حذوهُ من عائلة من المدققين فعاد على العلم باسنى الفوائد

وتتبع باسطور تجاربهُ واختباراتهِ في الحليب والخمر والجعة وغيرها. وكانت تدنئ الآفات الزراعيَّة ضاربة اطنابها في كروم فرنسة فاثبت ان الخلل الطارئ على الخمور مسبب عن ذوات حيَّة لاصقة بحبّ العنب تنمو مع خميرة الخمر فتضرّ بالكحول واخترع الآلة التي دُعيت باسمهِ لتسخين الخمر الى الدرجة ٦٠ فتتلاشى الخميرات المضرَّة وتبقى الخمر نقيَّة لذيذة

ومن اجل مباحثهِ التي نجّت من الخراب قسماً هاماً من اقاليم فرنسة وعادت على بلادنا خصوصاً بالخير العظيم هو ما توصل الى اثباتهِ بشان دودة القزّ وذلك ان مرضاً عضالًا او بالحرى امراضاً كانت انتشرت في دود القزّ اهمّها ما يسمّى بَبْرين (pébrine) وفلاشري (flacherie) وكانت عوارضها كثيرة تنتهي كلها بموت الدودة قبل الاوان فالحّ العلّامة دوماس على باسطور باسم الرحمة والانسانية ان يتفرغ للبحث في اسباب الداء وعلاجه ولم يرضَ له عذراً. فشرع في الدرس الطويل والتدقيق وقد اقرّ ان البحث كان شاقاً والنتيجة صعبة المنال الى ان عرف حقيقة السبب وشرحه شرحاً وافياً وبيَّن وسائط الوقاية في اختيار الفراش ومراقبة احوالهِ وفحص البزر فكُلّل مسعاهُ بالنجاح التامّ رغماً عن كيد بعض الحسدة والمعاندين وذلك سنة ١٨٦٥

ولا بُدَّ هنا من ذكر حادث هامّ في حياة باسطور العلمية اهتمّت له نوادي العلم ومجلّاتها وتناقلتهُ الجرائد فاصبح مدة شغلًا شاغلًا للقرَّاء يتنظرون النتيجة. وذلك انه في سنة ١٨٥٨ قام احد العلماء المسمّى پوشه (Pouchet) وزعم أن كائنات حيَّة تتولّد في بعض المقامات خلواً من سابق حيّ واكّد انّه امتحن الامر علمياً

بدقّة لا ينكرها عليه اصحاب العلم واعتبروها امراً لا ريب فيه . فقام قائم الماديين لهذا الخبر وطنطنت له جرائدهم كأنهم استغنوا عن خالق الحياة باسم العلم والعلمُ براء منهم كما اثبت باسطور وذلك انّهُ اعاد امتحانات بوشيه فألقاها مخلّة من ابواب عديدة بحيث ان صاحبها لم يتحاشَ فيها ما كان عليه ان يتحاشاهُ اثباتاً لمدّعاه بانهُ حسم كل موارد الحياة عن السوائل التي تتأثّر من الهواء المحيط فتختلف فيهِ كميّة على مقدار فساده

وبعد الاخذ والردّ الطويل واقامة باسطور الامتحانات العديدة وتكرارها امام اللجن العلمية اثبت بطلان ما زعمهُ انصار التولّد الذاتيّ فأقرّ ولا يزال يقرّ كل عارف بان الحيّ لا يتولّد الّا من الحي . ولا يزالون يحفظون في باريس الزجاجات التي ختمها باسطور ولم تظهر فيها ظواهر الحياة منذ خمسين سنة ونيف

*

خدم باسطور في ما سبق العلم وذويهِ خدمة جُلى لكنهُ قد خدم الانسانية خدمة اعظم واجلّ وذلك بتخفيف اوجاعها « واستخدام الميكروب معلّل هذه الاوجاع دواء لها ودافعاً عنها » كما جاء في تقريظ احد العلماء لباسطور . وذلك إنّهُ ارتأى رأياً حسبهُ باديء بدء ظنّاً وتخميناً فاراد ان يتثبّتهُ بالتجربة وهو أن قد يكون مُسبّب التخمير سبباً لكثير من الامراض المُعدية التي تفتك بالبشريّة تحت اعيانها فشرع ينظر في الاخلاط الفاسدة ويمتحن احوالها وصفاتها فما عتم أن شاهد اجساماً دقيقة جداً لم يجدها على الجسم السالم تختلف جنساً ونوعاً وقدّاً في كل مرض من الامراض وهي التى دُعيت ميكروباً اي « الحيّ الصُغَير » ولم يكتفِ باثبات وجود هذه الحُيَيْويّات لكنهُ برهن انها هي عوامل المرض وذلك انهُ لقّح بنقاعة الاخلاط بهائمَ سليمةً فاصابتها الامراض وجرّب الامتحانات العديدة الى ان ثبت الامر فكشف سرّ العدوى وعرّف العدوّ الذي يجب شنّ الغارة عليهِ او التحفُّظ من آفاته ومن ثم استطاع الجراحيّون ان يعملوا عمليّات غريبة كانوا يمتنعون عنها سابقاً خوفاً من العقبى فعرفوا بفضل باسطور ان يتّقوا لواحقها باتقاء الميكروب القتّال واستخدام الموادّ المعقِّمة دفاعاً عن الارواح وهذا اصل ترقّي فنّ الوقاية الطبيّة والطبّ بكمالهِ . وقد اخترع العلماء كلمة افرنسية اشتقّوها من اسم هذا النابغة دلالة الى هذا الفن

فقالوا « pasteuriser » ما يمكن نقلهُ الى العربيَّة بلفظ التَّبَسْطُر اي الوقاية على مبدإ باسطور فجعلوا لهذا الفنّ آلاتٍ معروفة لتطهيرِ الماء والنبيذ والجعة والحليب الخ

وقد توصل باسطور الى تربية هذه الحيوانات وترتيب معيشتها بحيث انهُ خفّف سنّها فاستخدمها للتلقيح. واوّل ابحاثهِ كان موضوعهُ عن هيضة الدجاج وجمرة المواشي فنال نجاحا عظيما اجدى بفوائد لا تُحصى على العالم باسره وعلى فرنسة بنوع خاص حتى قال احد العارفين: ان اكتشافات باسطور عوّضت على فرنسة الخمسة المليارات التي دفعتها لالمانية كغرامة حرب السبعين

ومن اعظم تجارب باسطور واجلّها فائدةً درسهُ لداء الكَلَب فتوصّل بعد الجهد الجهيد الى معرفة ميكروبهِ والسبيل للشفاء منهُ فشفى بهِ لاوّل مرّة سنة ١٨٨٥ شاباً مصاباً بهِ وما انتشر خبر الاكتشاف حتى قام العالم باسره يثني على باسطور ويشكرهُ أحرّ الشكر وجعل المرضى يتواردون من المعمور زرافات طالبين العلاج فانشأت حكومات العالم مستشفيات لهذا الداء خلّصت من الموت الألوف المؤلّفة

هذه نظرة عامة في اكتشافات باسطور لم نذكر بوجيز الكلام الّا القليل من الكثير. ولم تمت هذه العلوم بموت باسطور فلا يزال تلاميذه يرقّون مخترعات استاذهم ويوسّعون نطاقها لخير الانسانية. لكن الفضل للمتقدّم

*

بقي علينا ان ننظر الى الصفات الادبيَّة التي امتاز بها هذا النابغة فجعلت له بين علماء العصور المتأخرة مقاماً رفيعاً. كان باسطور ذا عقل ثاقب وفكرة وقّادة اذا ما شاهد مشهداً او جرّب تجربة علميَّة سبق فتنبأ عمّا سوف ينتج عنها من المفاعيل والتأثيرات كأنَّهُ يشاهد النتائج بالعيان. لكنّ ذكاءهُ السامي وتنقيبهُ العلمي كانا لهُ كقائدين يقودانهِ الى البحث المدقّق فلا يرضى بما اكتشفهُ حتى يؤيدهُ بالامتحان. فاذا رأيتهُ يعالج المواد ويجدد الاختبارات فتارة يغيّر الظروف وتارة يقلبها الى عكسها فيقابل بين ما توصل اليهِ وتترقّى في سلّم التجربة العمليّة درجة بعد درجة لا يخطو الى الثانية الّا بعد ان أثبت الاولى اثباتاً لا مردّ عليهِ قلت انهُ تلميذ جاهل او عالم معاند لا يرضى بالبرهان الكافي الوافي الّا بعد استقراء كل ما يمكنهُ معرفتهُ.

هذا ما جملهُ بمعزل عن كثير من الاغلاط التي ربَّما سقط فيها العلماء المكتفون بالنظر الى وجهٍ من الامور لا الى كل وجوهها. ولم يكن ممَّن يطلب العلم مباهاةً بهِ او ترويجاً لعقلهِ لكنهُ جعلهُ واسطة لخير البشر اخوتهِ فاذا ما عرف سرَّ مرض او مصيبة سعى حالًا طالباً للداء دواء. وكان ما خلا ذلك على جانب عظيم من الوداعة والمجاملة فيتحبب اليهِ كل من شاهدهُ او تعاطى معهُ وقد اقرَّ لهُ بالفضل والسبق حتَّى الحسدة والمخالفون والمعاندون فاصبح مجدهُ نقيًّا من كل شائبة لا يختلف في الاقرار بهِ اثنان

وقد كان عالمنا حافظاً لدينهِ الكاثوليكي مُتَّبعاً شرائعهُ بامانة وصدق سريرة ولم يكن الدين حاجزاً يمنعهُ البتة عن الاكتشافات البديعة التي توفَّق اليها وعن ترقية العلوم والمعارف وقد صرَّح بذلك صاحب الهلال (٤: ١٦٦) قال:

« وكان العلَّامة باستور حسن العقيدة لم يَفُهْ بكلمة تدلُّ على ارتيابهِ بوجود الخالق بل كان متين الاعتقاد بوجودهِ جلَّ وعلا الى آخر نسمة حياتهِ وفي ذلك عبرة لمن يظن المنافاة بين العلم والدين »

حبَّذا الاقرار. وقال مثلهُ اصحاب المقتطف (٩: ص٨٠٥)

« وكان كاثوليكيًّا شديد التديُّن استدعى احد قسوس الكنيسة قبل احتضارهِ واعترف اليهِ وتناول الاسرار المقدَّسة يوم الجمعة قبل وفاتهِ. وتظهر شدَّة تديُّنهِ وصحَّة عقيدتهِ من الخطبة التي خطبها في اكادمية العلوم لمَّا جُعل عضوًا فيها بدل الشهير ليتره وقد ندَّد فيها بمعتقد ليتره وغيرهِ من الماديين والطبيعيين »

وها انَّا ننشر بعض شذرات من هذه الخطابة البديعة نقلًا عن المقتطف (٧: ١٦٧): ١)

... « واني قد برهنت بالبحث عن اصل الجراثيم الحيَّة ان الحياة على ما قد تحقَّق لنا حتى الآن لا تحصل من القوى المتسلطة على المادَّة (كقوَّة الحرارة والنور والكهربائيَّة والجاذبيَّة) فخدمت بذلك التعليم الروحي الحسن عندكم وان كان قد أُهمل عند غيركم...

« ان ليتره اتَّبع فلسفة كونت فحكم بوجوب ترك البحث عن الله والنفس واصل الاشياء وغاياتها زاعماً انهُ لا يمكن لنا ان نعرف حقيقة هذه الامور بالعلم. ولذلك قال انهُ يجب نزع صورها من العقول. على اني لست ادري اي اكتشاف فلسفي او علمي اباح لهُ ذلك

---

١) حبَّذا لو تأمل كتبة الهلال والمقتطف الادباء بهذه الاقوال وفيها تفنيد لما خطَّهُ قلمهم غير مرَّة. ونطلب اليهم ان يتحاشوا ما يحمل الكثيرين ان ينسبوا اليهم اراء وغايات بعيدة عن الدين

الحكم او قضى بوجوب نزع تلك الصور من الاذهان. ألا ترون ان الكون مُحجَّب بالاسرار وان الصور التي حكم ليتره بوجوب محوها من عقول البشر انما حصلت فيهم من تلك الاسرار . . .

« امّا انا فاني اجد الدلائل على وجود صورة النير المتناهي « او النير المحدود » في اذهان البشر ظاهرة في كل مكان واحكم من ذلك بان ما فوق الطبيعة مستكنٌ في فؤاد كل انسان ولمَّا كانت صورة الله في النفس من نوع صورة النير المحدود وكانت صورة النير المحدود محجَّبة باسرار تسبي القلوب والعقول فالبشر لا ينفكون البتة من بناء المعابد لعبادة النير المحدود الذي يسمونهُ الله . . .

مات باسطور في ٢٨ ايلول ١٨٩٥ بعد ان تزوَّد الاسرار ويدهُ اليسرى في يد امرأتهِ وباليمنى يحمل صليب المسيح فيقربهُ من شفتاهِ ليقبّله القبلة الاخيرة. وما انتشر خبر وفاتهِ حتّى اشترك بالاسف عليهِ مع فرنسة وطنهِ المحبوب العالَم المتمدّن باسره وقرَّظتهُ المجلات والجرائد فنال مجداً لم ينلهُ على الارض ملك ولا سلطان. وارادت الحكومة الافرنسيَّة دفنهُ في البانتيون فلم يرضَ ذووه بذلك حفظاً لحرمة الدين لان البانتيون كنيسة اختلستها الحكومة من يد الشعب الكاثوليكي لدفن رجالها الكبار. فدُفن في المعمل الذي قضى فيهِ حياتهُ يخدم الله والبشر. اجزل الله له الجزاء.

السرّ المَصون في شيعة الفَرْمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٩ مناهضة الدول للشيعة الماسونية

١٠ رويناهُ في الابواب السابقة لا يُبقي ريباً لذي بصر في أنَّ اهل الاديان اعتبروا الماسونيَّة كسمّ ذعاف للمذاهب الدينيَّة على اختلافها وكآفة مُجحِفة بالآداب وبسلام الشعوب. ولعلَّ معترضاً يقول هذا رأي خاصّ بارباب الدين لأنَّ الماسونيـة تماكر مآربهم وتتصدَّى لهم في غاياتهم الشخصيَّة التي يسترونها تحت حجاب الدين. امَّا أُولو الامر واصحاب السياسة فليس كذلك والدليل عليهِ انَّ كثيرين منهم داخلون في الشيعة مناصرون لها

لا نجهل انَّ بعض اهل السياسة منحازون الى ابناء الارملة وهـذا عندنا امر

الادلّة على انّ الماسونية لا تتحاشى امور السياسة كما تزعم زورًا بل هي ابنة بجدتها والمتولية الخفيّة لتدبيرها . لذا نكذّب الماسون في قولهم انّ الدول تضطهدهم اللهمّ الّا الدول التي صارت ازمّة الامر في ايدي اشياعها كفرنسة منذ سنين والبرتغال مؤخرًا . وها نحن نسرد الشواهد اللامعة على مناهضة كل الدُّول للماسونية فترى انّ ارباب الدنيا كزعماء الدين يتّفقون في رذل الشيعة ونفيها وان قويت عليهم بدسائسها

لا حاجة لنا نذكر هنا انّهُ من المبادئ المقرّرة التي يرشد اليها العقل السليم انّ الدول مهما كانت نزعاتها او هيئاتها ملكيّةً كانت او جمهوريّةً مطلقة او مقيَّدة . استبداديّةً او دستوريّةً تريد اذا كانت قابضة على سكّان التدبير ان تحفظ سلطتها وتقوم بامور رعاياها دون معترض . واذا وقفت على من يناوئها فتّت في عضده وفلّت شباةَ كيدهِ . وان فعلت ذلك بمن يجاهر بمناهضتها فما قولك بمن يتستّر في الظلمة ليدسّ لها الدسائس . وفي الواقع ان تصفّحتَ تواريخ الشعوب كلّها وجدت أنها تتّقي كل الاتّقاء من الشيع السريّة واذا اتّفقت الى اكتشافها ضربت زعماءها وشتّتت شملها ومزّقتها شذر مذر لأنّ الداء الدفين انكى شرًّا واعظم بلاءً من الداء المكشوف

وان صرفنا النظر الى الشيعة الماسونية خصوصًا التي فشا عدواها في اوائل القرن الثامن عشر وجدنا الدول متكاتفة متناصرة في كبح جماحها واستئصال شأفتها كما فعل الاحبار الرومانيّون الذين سردنا بعض اقوالهم في ما تقدّم . ولئلا يعزونا احد الى المبالغة نذكر كمألوف عادتنا كتب الماسون وسواهم من المؤلفين الموثوق بهم فنحيل اليها القرّاء ونها اخذنا . واخصّها : كتاب تاريخ الماسونية لتوري احد زعماء الشيعة الذي يُعدّ كتابهُ كانجيل الماسونية Acta Latomorum *ou* Chronologie de la F∴ M∴ par Thory. *Paris*, 1815, I, p. 29–263 ثمّ تاريخ الاخ كلافل Clavel : *Hist. pittor. de la F∴ M∴* وكتاب باروبل في تاريخ اليعقوبية (اي الماسونية) Barruel : *Mémoires pour servir à l'Histoire du Jacobinisme*. Lyon, 1818 وكتاب الاب كوتوله رئيس رسالتنا السوريّة في الثورة والماسونية Ganterelet : *la Révolution et la Franc-Maçonnerie* Lyon 1872 ثم كتاب بول روزن الشيطان وشركاؤهُ Paul Rosen : *Satan et Cie.* Tournai, 1888.

وقد اتّبعنا في ذكر الدول طريقة الحروف المعجم ليسهل على الطالعين مراجعتها

١ (اسبانية) في سنة ١٧٤٠ اصدر فيلبوس الخامس ملك اسبانية حكماً في منع الماسونيّة في مملكته — في ٢ تموز ١٧٥١ جدّد فرديناند السادس ذلك الحكم وأمر بان يُحاكم المخالفون كألدّ اعداء الدولة — في أيار سنة ١٨١٤ حكم فرديننــد السابع باقفال المحافل الماسونيّة ومحاكمة اعضائها المخالفين لاوامره كاكبر الجُناة والاثمة

٢ (أُسوج) امر فردريك الاوّل ملكها في ٢١ ت ١ بالغاء كل المحافل الماسونية تحت طائلة القتل على العاصي

٣ (المانية والنمسة) برز الامر باسم الامبراطور كارلس السادس سنة ١٧٣٧ بمنع اجتماعات الفرمسون. وفي ٢٤ حزيران أوقف اعضاء محفل مانهيم. وفي سنة ١٧٣٨ عمّم الحكم على بلاد النمسة وبلجكة وتقدّم بنفي الماسون. ولمّا علمت الحكومة بانّ بعضهم يجتمعون سرّاً في فيانّة اوقفت ثلاثين منهم وزجّتهم في الحبس في ٧ آذار سنة ١٧٤٣— وفي سنة ١٧٦٦ حكم يوسف الثاني امبراطور المانية بنزع الوظائف من التابعين للشيعة الماسونية. وفي ١ ك ١ سنة ١٧٨٥ اصدر حكماً في مراقبة الماسونية واعمالها وذويها. وفي ١٧٨٩ تقدّم بالغاء كل المحافل دون استثناء وطلب ان يقسم بالله اصحاب المناصب العسكريّة بأنهم لا يدخلون البتة بين الماسون وان حنثوا بان يُفرَزوا من رُتبهم ويُعاقبوا عقاباً شديداً — وفي سنة ١٧٧٥ نهى امير هلديسهيم عن الانضمام الى الشيع السرّيّة — وفي ٢٦ آذار سنة ١٧٧٩ حكم مجلس إكس لاشابال بمنع الجمعيات الماسونيّة وان يعاقب ذووها بجزاء نقدي قدره مئة فلورين مرّة اولى ثمّ مئتين مرّة ثانية ثمّ ٣٠٠ مع النفي المؤبّد مرّة ثالثة — وفي سنة ١٧٩٤ حاول فرنسوا الثاني ان يلغي كل الاجتماعات الماسونيّة — وفي ١٨٠١ في ٢٣ نيسان جدّد فرنسوا الثاني كل الاحكام السابقة في نفي الماسونية وتجريد كل العمّال عن وظائفهم — وفي ١٨٠٣ وقف الشرط في فيانّة على نادٍ ماسونيّ فحبس اصحابهُ وجُرِّد الموظّفون منهم من رُتبهم وكان بينهم الحاجب الملكيّ

٤ (انكلترة) في ١٣ تموز سنة ١٧٩٨ وافق مجلس دولتها على نفي الجمعيّات السرّيّة. اما الماسونية فاستُثنيت من هذا الحكم على شرط ان لا تُنشأ محافل جديدة وان تُقيّد المحافل القديمة بشروط معلومة كمراقبة الدولة

٥ (ايطالية) دوق طوسكانة الكبير جان غستون ابرز سنة ١٧٣٧ حكماً في مقاومة الماسونيَّة ونفي اصحابها — وفي سنة ١٧٣٩ أوقفت الحكومة في فيرنسة الماسوني المسمَّى كردالي وحكمت عليهِ بالسجن الطويل — في ٢٠ آب سنة ١٨١٤ أعلن في ميلانو امر فرنسوا الثاني بمصادرة الماسون واقفال محافلهم تحت عقاب الحبس واستصفاء مال الجمعيات وجزاء نقدي من ٢٠٠ ليرة الى ١٠٠٠ . (اطلب نابولي)

٦ (باد) في سنة ١٧٨٥ اعلن شرل فردريك كبير دوقيَّة باد امراً في مسانيهم يقضي بمنع الجمعيات السرّية وبتقييد كل العمَّال بقسم الامتناع عنها وان خالفوا عوقبوا — وفي سنة ١٨١٣ في ٧ اذار جدَّد حفيدهُ فردريك غليوم هذه الاوامر وطلب من كل عمَّالهِ اعلاناً بخطّهم يعدون فيهِ بانهم لا يدخلون على الاطلاق في مثل تلك الجمعيَّات

٧ (باڤارية) في ٢٢ حزيران ١٧٨٤ حظر اميرها شرل تيودور على كل رعاياهُ الدخول في ايّ جمعيَّة سرّية كانت ما لم تثبتها القوانين — وفي السنة التالية في ٢٧ نيسان كرَّر ذلك الامر وخصَّص بالذكر الماسونية وشيعة النورين — وفي ١١ ت ١ سنة ١٧٨٦ فاجأ الشرط محفلاً ماسونيًا وضبطوا اوراقهُ السرّية فنشروها واكتشفوا مكايد اصحابهِ الفاحشة وحكموا على رئيسهم وَيسهويت بالاعدام لولا انَّهُ ولَّى هارباً من باڤارية — وفي ١٣ ايلول سنة ١٨١٤ ابرز الملك مكسمليان جوزف حكماً في ابطال كل الجمعيَّات السرّية في كافَّة باڤارية

٨ (البرتغال) في سنة ١٧٤٢ امر الملك جان الخامس بالتفتيش من الجمعيَّات الماسونية ومنعها . واذ تحقّق الشرط ان الانكليزي المدعو «كوستوس» من اعضائها حُكم عليهِ بالليمان اربع سنوات لكنَّ ملك الانكليز اخرجهُ منهُ بعد سنتين — وفي سنة ١٧٤٣ اتَّفقت السلطتان المدنيَّة والدينيَّة على مصادرة الماسون الى أن انفرطت تلادتهم — في سنة ١٧٧٦ أوقف الماسونيَّان دالنكر (d'Alincourt) ودون اويراس (Dom Oyres) وحوكما — وفي اواسط أيار سنة ١٧٩٢ امرت ملكة البرتغال البصابات بان يُقبض على كل الماسون في جزيرة ماديرا

٩ (بروسية) اصدر فردريك غليوم الثالث حكماً في حصر الماسونية ومراقبتها فامر ان كل من ينشئ عقلاً جديداً يُحبس عشر سنين في قلعة وان عدد المحافل لا يزيد على ثلاثة وان تدوَّن اسماء اعضائها مع وصف احوالهم ومكان اجتماعهم

١٠ (البندقية) كانت جمهوريةً الى ان استولت عليها النمسة قبل ايطاليــة. ففي سنة ١٧٨٥ شــدّد السناتو النكير على الماسون وأقفل محافلهم ونفى من الجمهوريّة الموظّفين منهم فيها مع سائر اهلهم — وفي سنة ١٨١٤ أطلق الامبراطور فرنسوا الثاني على البندقيّة امرهُ على فرمسون ميلانو

١١ (بولونية) أمر اوغست الثاني ملكها سنة ١٧٣٩ باقفال كل المحافل الماسونيــة وعلّق على ابواب الكنائس براءة البابا اقليميس الثاني عشر — في ٣ ت ١ سنة ١٧٦٣ قرّر مجلس دَنتسيك في بولونية منع كل اجتماعات الفرمسون

١٢ (تركيّا) ما لبثت تركيًا ان شعرت بحركة الماسون في بلادهــا فاخذت بتاصيتهم ففي سنة ١٧٤٨ امر الباب العالي بان يُحدق الشُرط في الاستانة بمحفل ماسونيّ فيطرد اصحابهُ ويُخرب الّا ان ذويه التجأوا الى سفــير الانكليز فأوقف عن العمل على شرط أن لا توآزر الدول الاجنبيّة الجمعيّات السرّيّة وعلى الاخصّ الماسونية (١. ولا شكّ انّ في الدستور العثماني قوانين تحرّم الجمعيّات السرّيّة وقد جُدّدت تلك القوانين بعد اعلان الدستور واليها اشارت جمعيّة الاتحاد والترقي لمّا عقدت مؤتمرها السنوي فطلبت من الحكومة رجلًا ينابها في ذلك المؤتمر لئلّا تُشبّه بجمعيّة سرّيّة

١٣ (جَنَوة) اعلنت حكومة جنوة الجمهوريّة في ٢٦ آذار سنة ١٨٠٣ أنّها تنفي كل جمعيّة سرّيّة وانّها تُحاكم الذين لا ينقادون لاوامرها كشاقين ومقلقين ثمّ اوقفت كثيرين من الماسون ونزعت عنهم امتيازاتهم ورتبهم

١٤ (الدولة البابويّة) انّ الاحبار الرومانيين ليس فقط حرموا الجمعيّات الماسونية بصفة كونهم خلفاء القديس بطرس ونوّاب المسيح ولكن بما انهم ملوك على رومية ولواحقها تأثّروا اعقاب الماسون في مملكتهم. ففي ١٤ ك ٢ سنــة ١٧٣٩ نشر الكردينال فارّو باسم البابا حكمًا بالقتل واستصفاء الاموال على كل من ينضوي الى الشيعة — وفي ٢٧ ك ١ من السنة ١٧٨٩ اكتشف العسس البابوي محلًّا ماسونيًّا في رومية فباغتوا اهلهُ الذين فرّوا هاربين الّا انّ سجلّاتهم واموالهم واوراقهم السرّيّة

١) اطلب تفاصيل هذا الامر في كتاب الآثار لتاريخ النصرانية في الشرق الذي نشرهُ الاب انطون ربّاط Rabbath : *Documents pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient*, I, 235.

وقعت في ايدي الكردينال حاكم رومية — ولمّا رجع البابا بيوس السابع الى عاصمته بعد الآلام الطويلة التي قاساها في منفاه امر الكردينال كُنْزَلفي وزير دولته بان ينشر امرًا ضدّ الماسونية بموجبه تُستَصفى اموال المتحازبين اليها — وقد سبق القول انّ الشُرَط البابويّ في عهد غريغوريوس السادس عشر وقفوا على مجموع اوراق الماسونيّة الخفيّة فذُعِر لها كل من اطّلع على فحواها الذي تقشعرّ له الابدان

١٥ (روسية) كانت كاترينا الثانية ملكة روسية تعضد اوّلًا الجمعيّات الماسونية بايعاز فردريك ملك بروسية والفلاسفة الزاعمين كفولتار وديدرو الّا انها ما لبثت ان شعرت بدسائس الماسون وخافت ان يصيب دولتها ما اصاب فرنسة فعدلت عن حمايتهم وعهدت بتفتيش محافلهم الى شرطها سنة ١٧٩٤ — ولمّا تولّى بعدها الامر ابنها بولس الاول جعل اوّل اهتمامه الاحتراز من الجمعيّات السريّة وخصوصًا الماسونية فامر سنة ١٧٩٧ بنفيها من كل ممالكه — ومثله عمل خلفه اسكندر الاول في بدء حكمه سنة ١٨٠١ فجدّد اوامر سلفه واثبتها. ولمّا لحظ بعد مدّة انّ هذه الشيع تتسرّب الى بلاده بواسطة الاجانب اصدر حكمين الاول في آب سنة ١٨٢٢ على كل متوظّف في الحكومة يلزمهُ بان يخرج من الشيعة او يُعزَل من منصبه وفيه يأمر الاجانب اذا دخلوا روسيّة ان يقسموا قسمًا محرّجًا بانهم لا يشاركون تلك الجمعيّات مطلقًا وكذا قناصل الدول. والحكم الثاني تبعهُ بعد زمن قليل في تشرين الاول من السنة كان مؤدّاهُ انهُ ينبغي على كل اساتذة الكليّات وتلامذتها ان يتقيّدوا بالقسم فيحلفوا على الانجيل بانهم لا ينضمّون الى الشيعة الماسونيّة

١٦ (سردانية) في سنة ١٧٧٧ بلغ ملك سردانية فكتور اميداي الثالث ان مجلس لِنْبَرْدية جنح الى الماسونيّة فامر بالغائه حالًا — ثم ابرز في ٢٠ ايار سنة ١٧٩٤ قرارًا باستئصال الماسونية من كل بلاده. ولمّا كانت سنة ١٨١٤ في ٢٠ ايار استأنف الملك فكتور عمانويل الاوّل حكم سلفه وشدّد على الماسون من عمّال الدولة وتهدّدهم بالحبس وبتجريدهم من كل الوظائف اذا تشيّعوا لهذه الجمعيات السريّة

١٧ (سويسرة) اجتمع سنة ١٧٤٣ مجلس بَرْن فأمر باقفال كل المحافل الماسونيّة. وفي ٣ آذار من السنة ١٧٤٥ قرّر المجلس بان يُلزَم كل مشبوه بالماسونية ان يجحد القسم الماسوني الذي ابرزهُ عند دخوله في المشيرة وحكم بان كل من يعود الى

الاقتران بهذه الجميات يُجازى بدفع مئة دينار ويجرَّد من رُتبتهِ وامتيازاته—وفي سنتي ١٧٧٠ و ١٧٨٢ ألغت ايالات سويسرة بتنفيذ احكام مجلس برن: ثم صادق عليها خصوصاً مجلس مقاطعة بال سنة ١٧٨٥

١٧ (فرنسة) كانت فرنسة من اوَّل الدول التي تصدَّت للماسونية فانَّ محكمة باريس المعروفة بفرقة الشاتليه (Châtelet) ابرمت حكمها في منع الجمعيات الماسونية في ١٢ ايلول سنة ١٧٣٧ وحكمت على المسمَّى شابلو بأن يدفع جزاء نقدياً مبلغهُ الف دينار لأنَّهُ احلَّ في بيتهِ جماعة ماسونيَّة وسطمتْ باب بيتهِ مدَّة ستة اشهر. ثمَّ جدَّدت هذا الحكم في ٥ حزيران سنة ١٧٤٤ ووضعت ضريبة ٣٠٠٠ فرنك على من يسمح للماسون بان يجتمعوا في منزلهِ وأُنفذ هذا الحكم في المسمَّى لوروا—وفي ٢٧ ك ١ سنة ١٧٣٨ قبض رجال البوليس على الماسون المجتمعين في باريس لحفلة عيد الشيعة—وفي ٢٤ حزيران سنة ١٧٦٧ حصلت منازعات ومضاربات في محفل باريس الاعظم فاقفلته الحكومة قسراً

١٨ (مالطة) اعلن رئيس فرسانها الاعظم ببراءة البابا اقليميس الثاني عشر سنة ١٧٤٠ وتقدَّم بالغاء النوادي الماسونية تحت طائلة العقابات الصارمة ثمَّ نفى من الجزيرة ستة فرسان لحضورهم اجتماعاً ماسونياً

١٩ (موناكو) في ١٧٨٤ قرَّر امير موناكو إبطال كل الجمعيَّات الماسونية من اعمالهِ مؤبَّداً ثمَّ كرَّر هذا التقرير في السنة التالية

٢٠ (نابولي) حكم ملكها دون كرلوس في ٢ تموز من السنة ١٧٥١ بلاشاة الماسونية في بلادهِ كشيعة مخطرة—ثمَّ قام خلفهُ فرديند الثالث وحكم بعقاب الموت على المجتمعين في المحافل الماسونية وذلك في تاريخ ١٢ ايلول ١٧٧٥. وفي العام المقبل حُبس بعضهم ونُفي البعض الآخر. ثمَّ جدَّد فرديند اوامرهُ سنة ١٧٨١. وخلفهُ بعد زمان فرديند الرابع فتعرَّض لجمعيَّة الفحَّامين الماسونية والغاها وتهدَّد اصحابها بالعاقبات العنيفة

٢١ (النمسة) أعلنت فيها نفس الأحكام التي أُبرزت في المانية وكان الامبراطور الثالث عليها واحداً. فلتراجع وكذلك بلجكة

٢٢ (هولندة) هي الدولة الاولى التي سبقت الكلَّ في رذل الماسونيَّة: حكم

ابرزتهُ شورى ولاياتها السبع في ٣٠ تشرين الثاني من السنة ١٧٣٥ فأمرت بقطع دابر الماسون. ثمَّ نفَّذ هذا الحكم بعد قليل حاكم استردام وتقدَّم باقفال محفل تلك المدينة

فترى رعاك الله رأي الدول المتمدّنة كلّها في الماسونية ومشايعيها: ولم نقف عليها كلّها اذ نحن نتأكّد انّ احكاماً غيرها قد برزت ايضاً في القرن التاسع عشر في بلاد شتى كجمهوريَّة شيلي وجمهوريَّة خطّ الاستواء في عهد غرسيا مورينو. على انَّ ما ذكرناهُ يكفي لاقناع كل من لا يكابر الحقّ بانَّ صحيفة الماسونية سوداء لا يمكن تحويلها الى لون البياض كالحبشيّ الذي لا تجديهِ الصابون نفعاً لتغيير سوادهِ. وكان يودّنا ان نثبت نصوص احكام الدول السابق ذكرها فانَّ كثيراً منها يصرّح بالاسباب الموجبة لمقاومة الماسونيّة بالشدَّة كاستخفائها في الظلمات وخوفها من مراقبة اصحاب الامر ومكايدها المتعدّدة وتهييجها للاهواء والمطامع وإثارتها للفتن واتيانها الاعمال السيّئة. فهذه مثلاً بعض مقدّمات قرار دنتسيك في پولونية سنة ١٧٦٣:

قد بلغنا امرٌ كدَّرنا جدًّا وهو انَّ بعض اهل الوطن من المتوطّنين وغيرهم عقدوا جمعيةً يدعونها فرمسونيَّة وهم يدَّعون أنَّهم يقصدون من انشائها اسعاف الفقراء واعمال الرحمة. واعضاء هذه الجمعيَّة يحتمون سرًّا ويريبون الناس باجتماعاتهم ويسمون بفتنة شركتهم بين اشخاص جهَّال ولاسيما الشبَّان الاغرار. وقد علمنا العلم الأكيد انَّ اصحاب هذه الشيعة يتظاهرون بتعظيم بعض الفضائل مع انَّهم يقوّضون اركان الدين ويبثّون روح الزندقة ويشاهدون في جمعيّاتهم على حفظ اسرارهم بالاقسام المغلظة الفظيعة ويدَّخرون الاموال من اصحابهم لترويج مقاصدهم الباطلة ويقيمون في محافلهم رتباً مضحكةً لا تليق برجال عقلاء. فبعد الفحص المدقّق رأينا ان وجود هذه الجمعيّة منافٍ في حقّ الدين واثمٌ ضدّ الشرائع المدنية وارباب الامر وامان البلاد ...... (ثم يتلوهُ ابراز الحكم مع تعداد العقوبات في من يخالفهُ)

١٠ اقرارات لبعض مشاهير الرجال في الماسونية

لا يسعنا ان نروي في هذا الباب كل ما كتبهُ عن الماسونية كبار الرجال من سياسيّين وأدباء وكتبة واعيان فانَّ ذلك لا يكفيهِ عددٌ بل اعدادٌ من المجلّة وانَّما نكتفي بذكر اقوال بعضهم فيقاس عليهم البقية وقد فضّلنا اقرارات الماسون انفسهم لأنَّها اقوى حجّة مع شواهد قليلة لغيرهم تؤيد اقوالهم

١ (شهادة جون روبنصون) كان هذا ماسونيًّا انكليزيًّا وكاتب اسرار اكادمية ادنبورغ فألَّف سنة ١٧٩٧ كتاباً نفيساً دعاهُ «الادلَّة القاطعة على مكايد الماسون والمتوّرين ضدّ كل الاديان والدول» قال في مقدّمتهِ:

قد حصلتُ على الوسائط لأتتبَّع منذ خمسين سنة كل الدسائس التي دسَّها البعض على الدين بحجّة مناهضة المراقات الدينيّة وعلى السلطة المدنيّة بحجّة تحرير الشعوب من العبوديّة. وقد درستُ تعاليم اولئك الكتبة وراقبتُ انتشارها فاذا هي كلُّها مرتبطة ارتباطاً لازماً مع الماسونيّة ومذاهبها والحقّ يقال انّ الشركة ليس لها غاية اخرى سوى نقض اركان المقامات الدينيّة كلها ودكّ اساس كل الدول المالكة في اوربّة. وانّي رأيت عياناً انّ اصحابها يواصلون مساعيهم لنشر مبادئهم بغيرة لا تعرف الملَل ولحظت انّ الذين شاركوا الثورة الفرنسويّة مشاركة اعظم انّما كانوا اعضاء لتلك الشيعة السرّيّة وجروا في ثورتهم على طريقة نظاميّة سبقوا الى رسمها وتخطيطها. وهذه الشيعة لا تزال تسعى في المقية بتحقيق غاياتها الشرّيرة ... فلو نجحتْ لقلبت الارض ظهرًا لبطن وجعلت الدنيا متقعاً من الدم او شعلةً من النار . ولهذا ألفت كتابي ليطّلع الناس على ما جمعتُ من المعلومات في حقّها

٢ (شهادة الكنت هوغفتس) كان الكونت هوغفتس (Haugwitz) وزيرًا لملك بروسية فردريك الكبير وماسونياً مثلهُ. فلمَّا كانت سنة ١٨٢٢ حضر المؤتمر الدولي المنعقد في ڤيونة لمناهضة اعمال الجمعيَّات السرّيّة التي هاجت في اسبانية وايطالية وبيامنتي وكان يصحب الملك غليوم الثالث فقدَّم للمؤتمر قرارًا طُبع في برلين سنة ١٨٤٠ في المجموع المسمى « Dorrow's Denkschrifften, IV, 211-221 » فتعرّب عنهُ هذه الاسطر الوجيزة :

قد بلغتُ نهاية أجلي فأرى انه من الواجب اللازب عليَّ بأن أتي نظرًا عموبياً في الجمعيَّات السرّيّة التي يتهدَّد سمُّها القتّال الانسانية في ايَّامنا اكثر من سواها. وقصَّتها مرتبطة مع سيرة حياتي فلا بدّ لي ان انشرها واذكر بعض تفاصيلها

وبعد ان فصَّل الكاتب تاريخ حياته الاولى وكيف انخدع بظاهر الماسونية فدخلها ورغب في صعود سلّمها ليزيد معرفةً بها ويعرف كنهها فتقدَّمهُ اربابها في الدرجات حتى صار من روساتها وهو بعدُ في مقتبل العمر. واخبر كيف كانت المحافل منقسمةً الى قسمين قسم ينكر وجود الخالق وينفي كل دين وقسمٌ يقرّ بالله وبالديانة الطبيعيّة وحدها. الى ان قال:

وكان الحزبان يتناقضان و يتباينان الّا انهما كانا يتّفقان في الغاية ويطلبان السيطرة على العالم وتملُّك الممالك والقبض على ازمَّة السياسة .... وفي سنة ١٧٧٧ عُهد اليَّ تدبير قسم كبير من محافل بروسية فصار اليَّ الامر على ماسون بولونية وروسية . وقد عرفت وقتئذٍ الى ايّ درجة من الغفلان والسهو بل من الجهل والغرور تبلغ حكومات الدول اذ تغضّ النظر عن اعمال تلك الجمعيَّات التي هي حقيقة دولةٌ في وسط دولة . فكان زعماؤها يتكاتبون و يتراسلون كارباب

الامر ويتّخذون لذلك العلامات الاصطلاحية بل كانوا يتصرّفون فيما بينهم تصرّف الدولة المستقلّة وغايتهم ان يتسلّطوا على العروش والسلاطين . . . . وقد تحقّقتُ بالبيّنات المنيرة التي هي اضوأ من الشمس بانّ الرواية الفاجعة التي بُدِئ بتمثيلها في فرنسة سنة ١٧٨٨ و١٧٨٩ مع ما لحق بها من الثورة وقتْل الملك لويس السادس عشر والفظائع المرافقة لها كانت ثمرة الاقدام التي ارتبط بها ذوو الجمعيّات السريّة . . . وقد اعلنتُ برأيي الى الملك غليوم الثالث فثبت لديّ ان الجمعيّات الماسونيّة منذ درجاتها الاولى ساعيةٌ الى اقبح الغايات واشنع الآثام »

٣ (شهادة برّويل) لبرّويل (Barruel) قصّة عجيبة اخبر بها في كتاب طويل دعاهُ تاريخ الشيعة اليعقوبيّة (اي الماسونية) في اربعة مجلّدات . فاخبر عن نفسه كيف ارتبط من جهل بالمسونيين وهو يظنّ بهم خيرًا فجذبوه يومًا الى مأدبة اجتمع فيها الماسون وهو لا يدري فبعد الغداء أُقفلت الابواب وأُعلم بانّهُ في محفل ماسوني وطلبوا اليه ان يدخل في شيعتهم . لكنّ الشاب انكر ذلك لعلمه بانّ شرفهُ وذمّتهُ يصدّانهِ عن تقييد نفسهِ بالاقسام الماسونية . ولمّا ألحّوا عليه خيّب آمالهم برفضهِ واراد ان يخرج لكنّهُ رأى الابواب مقفلة واذا بالاخوة قد اتّشحوا باوستهم وعلائقهم الماسونية واخذوا باقامة رتبهم ليخوّلوهُ الدرجات الاولى الثلث فابى كلّ الاباء وكان يجيب على اسئلة الرئيس الذي يعرض عليهِ الماسونية والطاعة العمياء لاوامر زعمائها انّهُ يعتبر احتفالاتهم كألعاب صبيانيّة ولن يصير ماسونيًا ابدًا . فتهدّدوهُ بالسيوف والموت فكان جوابهُ : « افعلوا ما شئتم فانا لا ارتبط مطلقًا بشيءٍ يضادُّ شرفي وضميري » . فلمّا رأى الجمع انّ الشابّ لا يقتنع بكلامهم ولا يخاف تهديداتهم عدل الرئيس الى الحيلة واخذ يهنّئ الشابّ على ثباتهِ ويزعم انّهم فعلوا ما فعلوا لاختبار شجاعتهِ فصفّق الاخوة وهنّأوا الشابّ بانضمامهِ الى الماسونية وبشّروهُ بتخويلهِ رتبة الاستاذ . فلمّا خرج برّويل كتم الامر في قلبهِ قائلًا : « بما اني صرت استطيع ان احضر جمعيات المحفل الذي ادخلوني فيهِ مرغومًا فها انا حبًّا بالخير العام اغتنم هذه الفرصة لاكتشف اسرار هذه الشركة حتى اذا جمعتُ المعلومات الوافية صنّفت كتابًا انشر فيهِ كل دفائنها » وهو الكتاب المعنون آنفًا طُبع في ليون سنة ١٨١٨ وقد صار اليوم عزيز الوجود لسعي الماسون في اتلافهِ ولدينا منهُ نسخة . وقد دعا هناك الماسونية باسم الشيعة اليعقوبيّة لأنّ اصحابها كانوا يجتمعون في دير القديس يعقوب في باريس بعد ان طردوا منهُ رهبانهُ الدومنيكان

٤ (شهادة دوق دي برونزويك) كان الدوق دي برونزويك (de Brunswick)

احد الرئيسين الكبيرين على الماسونية في المانية مع الدكتور تيندُرف (Zinndorf) في اواخر القرن الثامن عشر فلمَّا رأى ما جرى في اوربَّة من الثورات والتقلبات وسقوط العروش حتى كادت البلاد تصير خرابًا يبابًا اجتمع برؤساء الماسونية واتفقوا على كتابة تبلغ الى كل شُعَب محافلهم السريَّة. وقد وصف الرئيس في هذه الرسالة احوال اوربَّة السيئة وصفًا تقشعرُّ له الابدان وهو يقرّ بان ذلك الدمار قد صدر من قعر الماسونية ومن تشاوُر اصحابها في العمل. على انه يطلب للشيعة عذرًا بقوله « انَّ هذه الاعمال المذمومة انَّما حدثت بتسرُّع اهل المحافل وتهوُّرهم في الثورات فاساءوا فهم غاياتنا وكان حقهم بان يسموا بزيادة فطنة وتحفُّظ » ثم يدعو الماسون الى التلاشي ليرتاح العالم من شرّهم. ودونك تعريب بعض اقواله المسجديَّة: (St - Alb., 405)

قد بلغتم ايُّها الاخوة الى قمَّة البناء الذي اردتم تشييده ولكن اعلموا انَّ بشامخ الخراب والدمار ... كنَّا نؤمّل انَّنا اذا بلغنا تلك القمَّة يشعُّ نظرنا بالنور غير ان النور الذي لقيناه هو ارعب واهول من الظلمة فوجدنا بناءنا قد انتقض وقد غطى الارض بالطلائع... ان البنَّائين الحاليين (اي الماسون) هم الذين اخربوا البناء لاسراعهم المفرط في العمل فلم يسمعوا صوت رئيسهم الصارخ لهم من علُ ايَّاكم والتسرُّع فهو مخالف للحكمة... فليعلموا ان جماعتنا كشبكة متلاحمة تضمُّ اليها بحلقاتها المتواصلة كلَّ اسرار العالم فكان من الواجب ان يكون الماسون مرتبطين مع المركز الوحيد اذ انَّ الماسونية واحدة وسرّها الاوَّل انَّما هو غايتها والسرّ الثاني هو وجودها ووسائلها... قد كان بيننا رجال ذوو سيرة مشكورة شرَّفوا جماعتنا لكنهم بتهوُّرهم اضرُّوها فاستعملوا اقبح الوسائط لادراك غايتنا التي لم يحسنوا فهمها... ثم تطرَّفوا الى حدٍّ انهم قتلوا بالسيف او احرقوا بالنار كل من رأوه مخالفًا لرايهم في المساواة والاخاء... فاخذ الجنون والبهتان يستوليان على العالم... فلقطع الشرّ من اصله يجب علينا ان نلغي جماعتنا فنستأنف العمل في وقت آخر لاصلاح الانسانية... »

وما كان هذا الالغاء سوى كلام فارغ تظاهر به الدوق دي برتوبك ليطمّن بال امراء المانية ورؤسائها وتغضَّ الدول النظر عن الشيعة. وانَّما فيه اقرار جليّ بالمنكرات التي اجترحتها الماسونيَّة من فم احد شيوخها ونعم الشهادة

٥ (الكردينال كنزالفي) كان الكردينال كنزالفي رفيقاً للبابا بيوس السابع وكاتب اسراره واحد ائمة السياسيين في زمانه فحضر كل التقلبات السياسيَّة التي حدثت في فرنسة وايطالية ثم كتب مذكراته التي تُعد من اجود التصانيف والذّها واوسعها فائدة. ومن آثاره رسالة وجهها الى البرنس مترنيك (Metternich) في ١٤ ك ٢ سنة ١٨١٨ فيها شهادة جليلة على اعمال الماسونية ينبئ باستئناف حملاتها على اوربَّة قال:

انّ الاحوال سيئة في كلّ البلاد ونحن نظنّ ان لا شيء يحوجنا على اتخاذ اقلّ الاحتياطات. اني هنا (في رومية) اواجه كلّ يوم سفراء اوربَّة وأُفيض امامهم بالاخطار الهائلة التي تتهدّد بها الجمعيات السرّية ذاك النظام الالهي الذي ما كاد يثبت قدماً بعد شتاتهِ. على اني ارى ممثلي الدول لا يكترثون للامر ولا يتحرّكون ساكناً وهم يزعمون ان الكرسي الرسولي يوجس خوفاً بدون داعٍ ويتغطون من التنبيهات التي نوجّهها اليهم ليأخذوا حذرهم. . . سيأتي يوم تُصبح فيهِ الدول الملكيّة عزلاء دون معامٍ يردّ عنها غارات بعض التصابين الاوباش الذين لا يعيرهم احد بالاً. فان ابى ارباب الامر ان يتداركوا الشرّ قبل انتشارهِ وتفاقمهِ عرضوا بنفوسهم للندم والاسف حيث لا يجدي التأسّف فتيلاً »

ولدينا شواهد كثيرة يصدّنا عن نشرها ضيق المكان فنضيف اليها شاهدين حديثين:

٦ (احتجاج اعيان فرنسة على فظائع الماسونية) ألا جرت في صيف سنة ١٩٠٩ مظاهرات الفوضويين ضدّ اسبانية وملكها لاعدام الاثيم فرير كتب عقلاء باريس واعيانها باقتراح الوزير السابق على خارجية فرنسة اميل فلورنس رسالةً رفعوها الى الملك الفونس ورواها البشير في عدده ١١٣٧ الصادر في ١٣ ت ٢ وهناك احتجاج بديع ضدّ الماسونية ننقلهُ هنا بالحرف:

« . . نرفع صوتنا باسم حريّة الضمير والنظام العامّ الدولي ونجاح التمدن الكوني ونحتجّ بكل قوانا على مساعي الشيع الفوضويّة الماسونية الجاحدة التي ترمي الى ان تتغلّب احكامها على قضاء المحاكم وارادتها على قرارات السلطة العمومية واهواؤها على مصالح الامم الاوّليّة وتسعى بالاهانة والتهديد والتهويل في ان تضغط على استقلال الشعوب وتضمن للمجرمين من ذويها التملّص من كل قصاص وعقاب. نعم انّها لعظيمة مسئوليّة الحكومات التي تناهضها وتقاومها لكنّ مسئوليّة الحكومة التي تخضع لها اعظم واشنع »

٧ (رأي اشتراكيّ في الماسونية) نشر الدكتور بوايه الاشتراكي آخراً مقالة في سياسة المسيو بريان وإدخالهِ في الوزارة احد زعماء الماسونية المسيو لافار نقل عنها البشير:

« اننا لا نفقه البتة معنى سلوك المسيو بريان فامّا انهُ لا يدري ماذا يفعل وهذا لا نتصوره وامّا انهُ يريد ان يُجلس الماسونيةَ على منصّة الوزارة مكان الكثلكة وهذا لا نقبل بهِ لاننا لا نريد في الحكومة لا الكنيسة ولا الماسونية غير انهُ اذا اضطرّنا الامر الى اختيار احداهما فاننا لا نتردّد هنيهةً في تفضيل الكنيسة على الماسونية وذلك لان ديناً معلوماً ومعروفاً من الجميع هو عندنا افضل من دين سرّي ولان كل الاديان تُعنى وتهتمّ بامر الفقراء والبائسين الّا الماسونيةَ فانها لا تهتمّ الّا بمصالح ذويها وتحقيق رغائبهم الدنيئة »

١١ شواهد المرتدّين عن الماسونية

ان الارتداد عن الماسونية من الامور العسرة لِما يقيّد الماسوني بهِ قسمهُ من الاقسام

الماطلة فيظنُّ الكثيرون منهم انهم اذا فعلوا يحنثون بأيمانهم وانَّ الشرف يوجب عليهم الثبات في الشيعة . ولو عقلوا لعرفوا انَّ حلفهم باطل لا قوَّة له على تقييد حريتهم اذ لا يجوز للماسونيَّة ان تطلبهُ من احد وسلطتُها وهميَّة كاذبة مختلسة كما انهُ لا يسوغ لرجل ان يقسم بهِ فيذعن لرؤساء لا يعرفهم ولاوامر مضادَّة لذمتهِ ودينهِ

ومما يوقف بعض الماسون عن جحود الماسونية خوفهم من العقوبات التي تهدّدهم بها عند ارتباطهم بحبالها جهلًا . غير انَّ ذلك الخوف خيالي في الغالب وجمجمة الماسون بلا طحن اذا جاهر المرتدون منهم بمقاومتهم وناجزوهم القتال مصرحين بانهم يزدرون بتهديداتهم الباطلة . وها نحن هنا نذكر اسماء بعض المرتدين عن الماسونيَّة وما قالوا فيها بعد اختبارهم لخبثها ودعارتها

١ (اللورد ريبون) اللورد ريبون كان من اسرة انكليزيَّة بروتستانية عريقة في الشرف واحد اعيان الدولة تقلَّب في المناصب السامية واحرز له مجداً اثيلًا حتى قُلِّد في الهند رتبة نائب الملك . وكانت وفاتهُ في العام المنصرم ١٩٠٩ فهذا الرجل العظيم كان دخل في الماسونية في لندن وتقدَّم في درجاتها الى ان وُلِّي عليها واصاب وظيفة استاذها الأكبر الحاكم على محافلها العديدة في بريطانيا وارلندة . ففي ٢٩ اذار السنة ١٨٧٣ كتب البابا بيوس التاسع براءة الى اسقف اولندا في البرازيل اعلن فيها انها لا يجوز للكاثوليك مطلقاً ان يتشيعوا الماسونيَّة وان فعلوا وقعوا تحت طائلة الحرم لانَّ تلك الشيعة عدوَّة كل دين وكل سلطة . فاوغر هذا الحكم الماسون غيظاً وطلب رؤساء محافل انكلترة من زعيمهم اللورد ريبون ان يفند اقوال البابا فوعدهم بذلك واخذ يدرس درساً مدققاً تاريخ الماسونية واعمالها وطال درسهُ حتى استبطأهُ الماسون وذكَّروه بوعده فكان جوابهُ انهُ لا يزال يدرس وعما قليل ستظهر نتيجة دروسهِ . وما مرَّت عليه بضعة اسابيع حتى جحد الماسونية جهاراً وتمذهب بالدين الكاثوليكي وعاش حتى موتهِ مذ ذاك الحين بكل ورع وتقى على موجب وصايا الكنيسة وتعاليمها

٢ (اللغوي الفرنسوي ليتره) شهرة اللغوي ليتره (Littré) كشهرة ضوء النهار في عالم العلم فان معجمهُ الفرنسوي يُعد كطرفة من طُرف الدهر ولهُ تآليف عديدة لغويَّة وعلمية عديدة كلها ذائعة الصيت . كان مولده سنة ١٨٠١ وتوفي سنة ١٨٨١ . وقد امتاز المذكور بنشره مذهب التعطيل وجحود الخالق وكل ما يفوق الطبيعة المحسوسة على

مثال اوغست كُونت حتى اعتُبر في فرنسة كخلفهِ في مذهبهِ وحرَّر زمناً طويلاً مجلّةً كانت غايتها المدافعة عن هذه التعاليم الفاسدة. وكان قد انتظم في الماسونية ويوم دخولهِ خطب في محفل الماسون الوزير جول فرّي خطاباً في العلاقة بين الماسونيَّة والمذهب الوضعي. ألا ان الله امار قلب ليتره في اواخر ايامهِ فاستدعى الكاهن الباريسي هوفلان (L'abbé Huvelin) فرذل الشيعة وتاب عن خطاياه توبة علنية وقبل اسرار الكنيسة مباشرةً بسر العماد اذ لم يكن بعد معتمداً ولم يسمح ان يتظاهر الماسون بعد موتهِ بمظاهراتهم التلفيقية. فالقم هذا الارتداد افواه الماسون حجراً فصرخ احدهم المسمى غالوبان (Fr ∴ Galopin) حنقاً: « انّا سننتقم بطبع تآليف ليتره الكافرة ونشرها بين الاحداث »

٣ (الجنرال دي سونيس) هذا الجنرال احد ابطال الكاثوليك في المدافعة عن حقوق الكرسي الرسولي وشهيد حبّ الوطن في الحرب السبعينيَّة كان من اعظم رجال عصره شهامة وديناً. ومن غريب ما جرى لهُ في شبابهِ انهُ انضمَّ الى الماسونيَّة اذ كان يتدرَّب في آداب الجنديَّة في مدينة سومور باغراء احد الضبَّاط الذي اكد لهُ انَّ الماسونيَّة شركة جليلة المبادئ ثم عاش مدة دون ان يذوق حلوها ولا مرَّها حتى صار ضابطاً فطلب منهُ يوماً الفريق ان ينوب عن ضابط اخر دُعي الى مأدبة ماسونية فتعجب دي سونيس وقال: وانا ايضاً ماسوني فلماذا لم يدعوني الى مأدبتهم. فقال لهُ الفريق: ويحك أتكون ماسونياً ؟ — نعم واي شرّ في ذلك ؟ — اذن اذهب في رفقة الضابط لتنظر ما هناك — نعم ها اني ذاهب. فلمَّا وصل دي سونيس وفُتح لهُ الباب بعد اعلانهِ بالكلمة السريَّة راى المحفل في هيئةٍ استغربها للغاية فجلس على المائدة فما لبث ان قام الخطباء واخذوا يتشدَّقون بحريَّة الضمير وتقلُّص ظلّ الخرافات ودين المستقبل الى غير ذلك ممَّا لم تعتدهُ آذان دي سونيس. فامتعض من تلك الاقوال وصبر حتى اخذ البعض من الماسون يطعنون بالدين الكاثوليكي واسراره ورؤسائه فلم يتمالك الضابط ان قام بغتةً من مكانهِ صارخاً: « ما هذا ايها القوم اراني قد سقطت في فخ... كنتم زعمتم انكم تحترمون الدين وها انكم تنتهكون حرمتهُ فقد خنتم بمواعيدكم وانا ايضاً لا اقوم بما وعدتكم ولا تعودون تنظروني بينكم الى الابد. يسعد مساءكم »

قال هذا ورمى بفوطتهِ ولبس قبعتهُ رافعاً رأسهُ وناظراً الى الماسون شزراً

٤ (ڤكتور بيرار) كان ڤكتور بيرار (V. Bérard) فرنسويًا من الكاثوليك المتديّنين وكان تخرّج في مدرستنا الشهيرة سانت أشول (S^t Acheul) قريبًا من مدينة اميان مثابرًا على ديانته حتى اقنعهُ احد اصحابهِ في بلاد الجزائر ان يدخل في الماسونية ليخدم فيها الانسانية كما زعم. فرضي بقولهِ وانضمّ الى محفل بلجزائر سنة ١٨٤٦ لكنَّ ارباب الشيعة اذ عرفوا باستقامتهِ لم يكشفوا لهُ شيئًا من اسرارها حتى بلغ رتبة فارس قدوش (Kadosch) فارتاب في امرها واخذ يطلب من الله ان يميط عن بصره الضلال واذ كان يومًا يتلو سفر حزقيال النبي (ف ٨) وما قال هناك عن مكنونات الدعارة في هيكل الرب وراء جدران الهيكل لم يبقَ في عقلهِ ريب بخصوص الماسونية ورجاساتها فاتى الى احد الآباء اليسوعيين في مدينة الجزائر وسلمهُ ما لديهِ من اوسمة الماسونيّة جاحدًا للشيعة ولاهلها. وهذه الاوسمة والوشاحات والمآزر والسيف الماسوني والاجازات قد أُرسلت كلّها الى كليّتنا في بيروت وهي في متحفنا في قسم الزعجات وقد رسمنا شيئًا منها في المشرق سابقًا

٥ (كوبان ألبانسلي) ليس اليوم في اوربَّة رجل قائم لمناهضة الماسونيّة مثل كوبان البانسلي (Copin-Albancelli) فان لهُ قصّة عجيبة. كان هذا الانسان تخرّج في شبابهِ على مبادئ دينهِ الكاثوليكي الّا انَّ الماسونية تصيّدتهُ واجتذبتهُ بالخداع على مألوف عادتها فاقنعتهُ بان ينضمَّ اليها كشركة لحسانية فدخلها مغترًّا بظواهرها ولم يزل يرتقي بمجالسها حتى وصل الى درجة الصليب الوردي. الّا انَّ السنين التي قضاها في الماسونيَّة اماطت الحجاب عن باصرتهِ فرأى انَّ الماسونية غير ما تصوَّرها وانَّها مخالفة لما وصفت بهِ نفسها فحاول ان يذكّرها بالمبادئ التي تجاهر بها امام الناس لتُصلح احوالها لكنَّهُ رأى أنَّهُ يخطّ في الماء ويضرب في الهواء. فتقدّم اليهِ حينئذٍ رجل من الماسونية الداخلية التي لا يطّلع على اسرارها الّا القليلون الموثوق بهم فدعاهُ الى ان ينحاز الى تلك الزمرة التي لا غاية لها الّا اقتلاع جذور الدين والقبض على زمام تدبير الدول بدسائس لا يعلم بها الواحد في الالف من الماسون وانَّما رعاع الماسون في قبضتهم يتلاعبون بهم كيفما شاؤوا. فكان لهذه الدعوة وقعٌ عظيم في قلب كوبان البانسلي فقطع منذ ذاك الوقت قيود الماسونية وناشبها الحرب مُعلنًا بكل خباثاتها وارجاسها وعقدَ لذلك جماعةً لمناهضة الماسونية (Ligue antimaçonnique) وانشأ جريدة لهذه

الغاية سمّاها الباستيل (La Bastille) ثم استبدلها بجريدة « فرنسة الامس وفرنسة الغد » (France d'hier et France de demain) وهو لا يزال يوسع نطاق عمله حتى صار كثيرون من خارج فرنسة ينضمّون الى شركته وللمذكور عدة كتب واسعة ترمي الى الغاية عينها

٦ (الشيخ محمّد عبدو) بعد الاعلان بالدستور منذ عامين كتب احد الماسون في الثغر ما حرفهُ :

« الماسونية جمعية اخاء عمومي لم ولن تُشغل قطّ بتنظيم الثورات لم ولن تتداخل بالامور السياسية ولا المسائل الدينية . . . فجمعيّة من اعضائها المرحوم الصدر العلّامة مفتي الاسلام في الديار المصريّة الشيخ محمّد عبدو ليست من الجمعيات التي تخالف مبادئها الديانات »

نقل البشير هذه العبارة في العدد ١٩٢٥ الصادر في ٢٣ آب سنة ١٩٠٩ وافحم كاتبها بما نصّهُ :

فراجعنا « ملخّص سيرة الامام محمد عبدو » الذي نُشر في مجلّة المنار الاسلامية لمنشئها السيد محمّد رشيد رضا فاذا هو يقول في الصفحة ٤٠٣ من المجلّد الثامن سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥) : « انّ الاستاذ الامام رحمهُ الله تعالى ترك الماسونية من زمن طويل وقد اكثر إخوانها من دعوته الى محافلها بعد رجوعهِ من النفي الى مصر فلم يجب واهدوا اليهِ وساماً فلم يقبلهُ وقد سألتهُ من حقيقتها مرّةً فقال : ان عملها في البلاد التي وُجدت فيها للعمل قد انتهى وهو مقاومة الملوك والباباوات . . . واخبرني انّ دخولهُ فيها كان لغرض سياسيّ اجتماعيّ وانهُ تركها من سنين فلن يعود اليها » فما اصرح اعترافهُ بانّ غاية الماسونية « مقاومة الملوك والباباوات » اي كل سلطة

٧ (المرحوم سليم زحيل) كان احد اعضاء الماسونية منذ عدّة سنين الّا انهُ لمّا احسّ بقرب وقوع الاجل ارعوى تائباً واقتبل كل اسرار الديانة رغماً عمّا اتّخذهُ اصحابهُ الماسون من الاحتياطات ليحيلوا بينهُ وبين الكهنة . وقبل موتهِ سلّم الى الخوات العائلة المقدّسة اوشحتهُ فحرّقتها بعد وفاتهِ

٨ (المرحوم جرجي صابونجي) كان من اسرة سريانية كاثوليكيّة يتعاطى فنّ التصوير وكان ارتطم بردغة الماسونية حتى ظنّ كثيرون انهُ لن ينجو منها . لكنّ الله رحمهُ رحمة واسعة . ودونك خبر اهتدائهِ على يد سيادة الخورفسقفس يوسف اسطنبولي كما سطّرهُ بعد وفاتهِ بقليل بهذه الرسالة تلبيةً لدعوة الميت :

. . . اثرتُ ان اروي لكم ما وقع لجرجي بك صابونجي الشهير رحمهُ الله . لمّا جدّ بهِ المرض ونُقل الى مستشفى الراهبات اللعازريات وثقلت عليهِ وطأة الداء عادهُ كثيرون من الرؤساء

الروحانيين وألحّوا عليهِ في الاقلاع عن مذهبهِ الماسونيّ والتوبة الى خالقهِ فعصى مقالتهم وما زلتُ ابتهل الى الله الرحيم في خلاصهِ فبينما انا اعالجهُ ذات يوم جرَّ بنا الحديث الى ذكر دينهِ الذي افرحَ شبابهُ فاندفع يقول لي: ما انا أيها الاب بجاحد لديني الذي نشأتُ عليهِ وانما اخاف ان يكيدني اهل الشيعة الماسونية ويدبّروا الحيل على اهلاكي ولا بُدَّ ان يشيع خبر اهتدائي في الجرائد فيلمني. فذكّرتهُ بقول الرسول (روم ١٠ : ١٠): «انّ الانسان يؤمن بالقلب للبرّ ويعترف بالفم للخلاص». فالمجاهرة بالدين عند الحاجة ولو ادَّت الى اكبر الاخطار لأمر واجب وانهُ لا يصل من يضحّي في سبيلهِ كل شيء. ليفوز برحمتهِ. فما زدتهُ على ذلك حتى اعترف اعترافاً عامّاً وندم على كلّ خطاياهُ وتقرَّب مرّتين واخذ عليَّ ميثاقاً أن: «أُعلنَ بعد موتي على عين من الناس وسمع اني في الماسونية خسرتُ مالي وصحتي وديني وانما اقول للشبّان السالكين على شاكلتي الويل لمن يكذّب بدين الله الويل للذي يعيش لهُ مُعْرِضاً». وما رسالتي غير القيام بوعدي للمرحوم

الخورفسقفوس يوسف اسطمبولي

بيروت في ١٨ ك ٢ سنة ١٩١٠ على السريان في بيروت

فترى من هذه الاعتداءات التي ذكرناها — ويمكننا ان نذكر غيرها كثيرًا — انّ المهتدين يصرّحون كلّهم بقباحة الماسونية وسوء اعمالها لاسيما في ساعة الموت حيث الانسان لا ينخدع ببهرجة العالم وحطام الدنيا وينظر امامه الديّان العادل الذي لا يخفى عنهُ شيء. فيطالبهُ من كل اعمالهِ ويجازيهِ عنها دون محاباة بالوجوه. فيا ليت الماسون يرتشدون بامثالهم ولا يعرّضون بنفوسهم الى الهلاك الابدي مفكّرين في آية الرسول (عبر ١٠ : ٣١): «لا جرم انّ الوقوع في يدي الله الحيّ امرٌ هائل»! (لها بقية)

مطبوعات شرقيّة جديدة

De ineffabili bonitate SS. Cordis Iesu Contemplationes et Orationes. Edidit Card. Vives. *Pustet, Rome.* 1911

تأمّلات وصلوات في قلب يسوع. جمعها الكردينال فيفس

ان اسم جامع هذه التأملات والصلوات والعواطف التقويّة يغنينا عن الوصف الطويل والثناء والتحريض. وهو نيافة الكردينال فيفس المشهور بعلمهِ وتقواه. وقد طالعنا فصولهُ فالفيناها مختارة من اصدق المناهل اللاهوتيّة وارقّ النجاوى الروحيّة التي تؤثّر في القلوب التقيّة وتحرّك فيها شواعر التعبّد والتوهّد والتفاني. والكتاب باللغة اللاتينيّة فنحضّ عارفي هذه اللغة من الكهنة الافاضل على اتخاذه موردًا يختارون فيهِ مواضيع تأمّلاتهم في كل صباح

Abû 'l-Mahâsin Ibn Taghri's Birdi Annals (vol. II, part 2 n° 2). Edited by **W. Popper**, *Berkeley, University Press*, 1910, pp. 129-297

تكملة النجوم الزاهرة في ملوك مصر

عرّفنا سابقاً ما لهذا التاريخ من الصفات وما لصاحبهِ من الفضل (المشرق ١٣ : ٧٣) وهذا القسم الجديد لاحق بسابق يتناول تاريخ ابي المحاسن من السنة ٤١١ (١٠٢٠م) حيث تولّى الخلافة الفاطميّة في مصر الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم بامر الله الى موت المستنصر مَعَدّ سنة ٤٨٧ (١٠٩٤) اعني قبل ابتداء الحروب الصليبيّة بقليل. والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على عدّة نسخ. فنشكر متولي نشره ونتمنّى مواصلة العمل قريباً ل. ش

BEITRAEGE zum Diwân d. Ru'bah von **R. Geyer**, Wien 1910, pp. 78.

ملحقات على ديوان رؤبة

اعلمنا قرّاءنا سابقاً في المشرق بطبع ديوان رؤبة احد ائمّة الرجّازين عند العرب في زمن عزّ لغتهم واثنينا على جناب الاستاذ أَهلوَردت المتولّي نشر هذه الاراجيز وقد كنّا وقتئذٍ تمنّينا لو تضاف الى الديوان الروايات والاصطلاحات التي توجد متفرقة في المعاجم وفي كتب الادباء على هذا الديوان. فها ان المستشرق ر. غاير قد سدّ هذا الخلل وجمع كل ما عثر عليهِ من الروايات المتفرقة في الكتب اللغويّة وغيرها من طبع وخطّ ونشرها ولا يقلّ مجموعها عن ٧٨ صفحة تدلّ على نشاط عظيمٍ وهمّة لم تعرف السأم. فنشكر صاحب هذا العمل المفيد ونحضّ ادباء الشرق على اقتناء الديوان وملحقاته ل. ش

DOM LECLERCQ : **Les Martyrs**. T. X. LE XVIII^e SIÈCLE, *Paris Oudin et C^ie*, 1910, pp. 454

اعمال الشهداء — شهداء القرن الثامن عشر

هذا القسم العاشر من مجموع واسع جليل الفائدة باشر بنشره منذ عدّة سنوات احد افاضل الرهبان البندكتيين حضرة الاب لوكلارك مجدّداً لعمل سلفهِ الشهير دون رينار (D.Ruinart) ومتمّماً له فنشر اعمال الشهداء نقلًا عن آثارهم التاريخيّة الصحيحة جيلًا بعد آخر حتّى بلغ في هذا القسم شهداء الازمنة القريبة من عهدنا امّا الشهداء الذين يروي في هذا الجزء اخبارهم فازهروا في القرن الثامن عشر وماتوا في سبيل الايمان في انحاء شتّى في اقاصي الشرق كالصين والهند وتونكين ومنهم من قتلهم البروتستانت في هنغارية وفرنسة. وممن ذُكر استشهادهم شاب

اومني كان جحد ايمانهُ جهلًا ثمَّ ندم على صنيعهِ فمات ببسالةٍ مكفّرًا عن ذنبهِ . وفي الكتاب ايضاً اخبار اليسوعيين الذين قاسوا انواع العذابات في لشبونة في أيام الوزير پبال ووافق صدور هذا الكتاب في يوم اعلان الجمهوريَّة في البرتغال ومصادرة اليسوعيين فيها كما جرى في القرن الثامن عشر فنُحيل كاتبي المقتطف والمقتبس الى مراجعة هذا التأليف ليعرفوا من كان پبال وما هي اعمالهُ التي اثنوا عليها . فترى عظم شأن هذا التأليف للوقوف على تاريخ الكثلكة مع انَّ صاحبهُ لم يذكر الَّا البعض القليل من شهداء القرن الثامن عشر وعددهم اوفر من الذين روى اخبارهم ل . ش

مبادي العربية

في الصرف والنحو — السنة الثالثة والرابعة

للمعلم رشيد الشرتوني

الغايةُ من تأليف هذا الكتاب تسهيلُ درس اللغة العربيَّة على التلامذة الذين كثيرًا ما يستوعرون مسالكها ويستثقلون تعدّد قواعدها . جرينا فيهِ على طريقة السؤال والجواب وميّزنا بين القواعد والشروح والفوائد والحقنا بكل باب تمارين مطابقة للموضوع . كان المرحوم رشيد الشرتوني استاذًا للغة العربيَّة في كليتنا لما اقدمنا على العمل . فانجز بمراقبتنا ومؤازرتنا السنة الاعدادية والسنتين الاولى والثانية من السلسلة وجعل يعدّ المواد للسنتين الثالثة والرابعة ففاجأته المنية مأسوفًا عليهِ ولم يُتمّ العمل على وجهٍ يُدني من الغاية المقصودة . فكان ان ابتعنا من ورثتهِ ما اعدّه وسمينا بانجازه وترتيبه وتكميله وتعليق فوائده وحواشيه مع وضع التمارين وذلك بمساعدة وهمة حضرة الخوري بطرس البستاني مدرس اللغة العربية في كليتنا . فجاء والحمد لله كتابًا وافيًا بالغرض قريب المنال سهل العبارة سديد التبويب تامّ الفصول والشروح غزير المادة يضمن للطلّاب سرعة الاستفادة . فعسى ان يُصيب ارتياح الاساتذة ويعود بالنفع على الناشئة العربية بعونه تعالى ا . ر

كتاب الجنّ عند غير العرب

تأليف سليم بك عنحوري

طبع في مطبعة المقتبس بدمشق ١٣٢٨ — ١٩١٠

في هذا التأليف قسمان قسم يُثنَى عليهِ وهو تمهيده الذي مؤدّاهُ « الاديان اساس

العمران » فنقلهُ البشير في بعض اعداده. وقسم يستدعي بعض النظر فانَّ ما كتبهُ جناب سليم بك عن الجنّ ملتبسٌ اورد فيهِ كثيرًا من خرافات الشعوب في الجنّ فاظهر بذلك كم يشرد البشر عن الحقّ اذا لم يرتشدوا بالعلم الثابت والوحي الصادق واستسلموا الى الاوهام. ولكنَّهُ أسمعَ في بعض اقوالهِ ما قد يستشفُّ منهُ انكار ما يعتقدهُ الدين القويم في الارواح الشريرة لجمع بين خرافات الامم والتعاليم الصادقة وبين معتقد النصارى ومزاعم الثنائيين في الهي الخير والشر وشتَّان بين الامرين. كما ترى في ختام رسالتهِ :

« ما بدأ يتفجّر في افق العالم الغربي نور العلم المبني على التثبُّت والاستقراء الحسي حتى اخذ يتقلَّص في تلك الاصقاع ظلّ الاعتقاد بوجود ارواح تتأثر بني الانسان. . . وكان ذلك في اواسط القرن الثامن عشر حتى اذا اشرق محيا القرن العشرين من أفقة الدهر تلاشى او كاد مذهب من يرى انَّ في العالم المحجوب قوى تناوئ ارادة الله وتناهض عبادهُ كما يزعم الثنائيون من الامم. ومعظم المتدينين من الفلاسفة والمفكرين في ايامنا هذه يذهبون الى انهُ قبل انقضاء هذا القرن لا يبقى على وجه البسيطة من يصدّق بوجود فاعل فوق الطبيعة غير الحقّ عزّ وجلّ »

فانَّ في كلام الكاتب هنا وفي ما سبق ابهامًا كنَّا نودّ لو ازالهُ بصريح الكلام اذ نجلّهُ عن نكران عقيدة من عقائد الدين الذي يفتخر بهِ ويدافع عن حقيقتهِ ل. ش

كتاب الفلسفة النظريَّة. او علم الحكمة البشريَّة. تأليف الكردينال مرسيه رئيس اساقفة مالين في بلجكه. المجلد الاوَّل في علم المنطق بطلهِ. نقلهُ الى العربيَّة وعلَّق حواشيهُ حضرة الخوراسقف نعمة الله ابي كرم. طُبع في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٣٦٦)

انَّ العلوم الوضعيَّة تترقَّى كل يوم في بلادنا ترقيًا عظيمًا باتساع النفوذ الاوربّي ولا تزال الدروس الفلسفيَّة ضيّقة النطاق منحصرة في فئة الاكليروس غالبًا مع جليل عوائدها ووفرة منافعها لتهذيب العقل وازالة الاوهام الباطلة. ولعلَّ الاكليريكيين انفسهم ما كانوا ليجدوا في العربيَّة تأليفًا يفي برغوبهم مع ما طُبع في ذلك منذ نحو عشرين سنة. فسيادة الخوراسقف نعمة الله ابي كرم رئيس المدرسة المارونيَّة في رومية العظمى واحد المتخرجين في مدرستنا الاكليريكية في غزير عمد لتلافي هذا النقص الى تأليف حديث في الفلسفة النظريَّة اشتهر في اقطار الغرب وهو لاحد مشاهير اساقفة بلجكة الكردينال مرسيه فنقل الى لغتنا قسمهُ المنطقي وكساهُ من قلمهِ ثوبًا قشيبًا قرَّب فهمهُ من عقول المواطنين وقدَّم عليهِ تنفيذًا لمذهب

الظهوريَّة وهم الوضعيون الذين لا يرون حقيقة ما وراء المحسوسات مع توطئة في ضرورة درس الفلسفة الدرسية في هذا العصر . ولولا ضيق المكان لنقلنا عنهُ فصولًا لفوائدهِ فنشكر المعرّب على عملهِ ونحضّ محبّي الدروس النظريَّة على الاقتباس من انواره . مؤمّلين صدور جزئه الثاني قريباً ان شاء الله ل . ش

كتاب سمير الليالي

الجزء الثاني . اثر الاديب محمد امين صوفي السكّري (الطبعة الثالثة)
طُبع بمطبعة البلاغة . بطرابلس الشام سنة ١٣٢٨ (٣٤٤)

عرّفنا في العام المنصرم (في المشرق ١٣ : ٧١٥) هذا الكتاب وخواصّ طبعتهِ الثانية . وهذا الجزء يستحق ما قلناه في تقريظ القسم السابق ووفرة محتوياتهِ وتفنّن صاحبهِ في المواضيع كالتاريخ والحكايات والنوادر والامثال والاختراعات والعادات والفوائد الصناعية واشياء كثيرة غيرها . وفيهِ مع ذلك من الروايات والمزاعم ما لا يصادق عليهِ الانتقاد الصحيح . أيرضى مثلًا المسلمون بقولهِ (ص ٢٠٨) « انَّ كافة البدع والكوارث التي ابتُلي بها المسلمون ابتدأت من القرن الثاني الى اوائل القرن العاشر » حاصراً الكمال في الدولة العثمانيَّة ؟ وكذلك لا نظن انَّ احداً من العقلاء يقبل ما وصف بهِ الانكليز (ص ٢٥٩) « من الغدر وقتل الآباء والامهات لاولادهم وبالعكس ومن بيع الزوج لزوجتهِ وانَّ الحكم يقرّر لهم ذلك » فلو صحّ ما كتب هناك لاصبح الانكليز من شرّ الامم . وقد تعجبنا ايضاً من ذكر المؤلف للطاولات المتحركة (٣٩٦) بين الملاهي الشتويَّة (راجع المشرق ١ : ٦٢) ومن ذكرهِ لسمكة الشهادة (ص ٢٩٤) ولكتاب مخائيل فرج (ص ٢٩٦) القائل بزواج المسيحيين لاكثر من امرأة . فهذه الاقوال وغيرها من شانها ان تُفقد هذا الكتاب شيئاً من اعتبارهِ فلا بُدَّ من تنقيحها في طبعة ثالثة ل . ش

شذرات

المجلات الكاثوليكيَّة العربيَّة في اوّل سنة ١٩١١ لمَّا ظهر المشرق في غرَّة كانون الثاني سنة ١٨٩٨ لم يجد مجلَّة كاثوليكيَّة غيره في العربيَّة تبحث في العلوم الدينيَّة وتذبّ عن حوزة الدين القويم . وكانت سبقتهُ

مجلّة الكنيسة الكاثوليكيّة لمنشئها خليل افندي البدوي بمساعدة الآباء اليسوعيين فظهرت من السنة ١٨٨٨ الى ١٨٩٠ مرّتين في الشهر ونشرت عدّة ابحاث دينيّة في اللاهوت والفلسفة والتاريخ الديني ومشاكل الاسفار المقدّسة — ثم انطفأ نورها وظهرت في مصر مجلّة الاسد المرقصي لبعض الاقباط الكاثوليك فلم تطل مدّتها على ثلاث او اربع سنوات بعد ان خدمت الدين خصوصاً بتفنيد اضاليل الاقباط العتق اليعاقبة — وكأنَّ مجلّة المشرق استنهضت همم الكاثوليك فارادوا ان يجاروها في خدمة الدين. فمأ ظهر من ذلك الحين مجلّة المباحث الشهريّة لمنشئها حضرة الخوري جرجس فرج صفير نشرها مدّة السنة ١٩٠٤ في الاسكندريّة وكان معظم مقالاتها دينيّة فلسفيّة أقبل عليها القرّاء وودّوا لو طالت حياتُها — وفي السنة ١٩٠٦ انشأ حضرة الاب يوسف علوان اللعازري في الاسكندريّة مجلّة صغيرة دعاها شركة يَرع سيّدنا يسوع المسيح والغرض منها إنّما العبادة نحو آلام السيّد المسيح وضمّنها عدّة فقرات دينيّة واخبار تقويّة. وقد انتقل حضرتهُ الى بيروت منذ سنتين فوسّع نطاق نشرتهِ ودعاها بالجمانيّة وكتب فيها عدّة فصول دينيّة وتهذيبيّة ودفاعيّة وهي اليوم داخلة في سنتها السادسة — وفي أيار من السنة ١٩٠٩ نشر حضرة الخوراسقف خير الله اسطفان في نيويرك عاصمة الولايات المتحدة مجلّة الحكمة لتعزيز جانب الدين والآداب في وجه الملحدين ونشر فيها مقالات حسنة فلسفيّة انتقاديّة ادبيّة فضلًا عن الابحاث اللاهوتيّة. فتمنّى لها الثبات والنجاح — وفي اوّل حزيران منها انشاء الاباء المرسلون البولسيّون الافاضل تحت رئاسة ومراقبة سيادة الحبر الجليل كيريوس جرمانوس معقّد مطران اللاذقيّة المسرّة وهي مجلّة بطريركيّة الروم الكاثوليك فاوعبوها ابحاثاً دينيّة لاهوتيّة تهذيبيّة عليّة حقّقت اسمها البهيج فسرّت بها الخواطر لاسيما بين ابناء الطائفة الملكيّة الكاثوليكيّة فندعو لها بالانتشار الواسع والترقّي الدائم — وفي حزيران ايضاً من سنة ١٩٠٩ اصدر حضرة الخوري اسطفان ضوء المارونى مجلّة المثاني الشهريّة في بيروت ثمّ في البترون وابحاثها ادبيّة وتاريخيّة اكثر منها دينيّة — وظهرت بعد مجلّة المثاني بثلاثة اشهر مجلّة النديم الكاثوليكيّة جعلت غايتها « المحافظة على الحقائق والذود عن المبادي الادبيّة وتعزيز شأن الآداب المدنيّة » لمديرها جناب شاكر افندي عون ويغلب عليها الابحاث

الاجتماعيّة والسياسيّة — وبختام السنة ١٩١٠ سجعت مجلّة الورقاء في حلب بهمّة منشئها ومديرها سيادة الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الكاثوليكي فاتانا العدد الاوّل منها فرأينا صاحبها كالوف عادته مولعاً بالعلوم الفلسفيّة والادبيّات الشعريّة والنثريّة فلا شكّ انهُ سيحظى لدى محبّي النظريات والفنون الادبيّة ويسرّنا انّ المجلّة رُزئت منذ ظهورها بصاحب امتيازها المرحوم جورجي خيّاط فاملنا ان لا تنقطع حياتها بوفاته — وها قد استبشرنا في اوّل السنة الحاضرة بصدور مجلّة كاثوليكيّة اخرى كوكب البريّة تصدر كل شهر في المطبعة الانطونيّة في بعبدا لبنان لصاحبها ورئيس تحريرها حضرة الاب يوسف الشدياق قصدُها ان تخوض في كل الابحاث لاسيا الدينيّة والادبيّة. فنسأل الله ان يبقي كوكبها لامعاً ساطعاً

جواب الماسونيّة — دعونا ابناء الارملة الى الجواب على شواهدنا العديدة التي نقلناها من كتبهم السريّة وخطبهم الرسميّة وكأنها تميط القناع عمّا في زواياهم من الخبايا. فكان جوابهم شتماً كالوف عادة المُفحَم الّا انّ الجريدة الماسونيّة لصاحبها « نقولا سابا بالاسكندريّة » حاولت الردّ علينا في عدديها ١٩ و٢٠ من السنة الثامنة (كذا!) فقرأناهما ونحن في استعداد لتكذيب ما اشعناه عن اخوتها ان كنّا مخطئين. ولكن خاب الامل اذ لم نجد في العدد الاوّل ما يُشتمّ منهُ رائحة التفنيد لشواهدنا حتّى انّ المُقطَّم الماسوني نفسهُ (في عدده ٦٥٩٥) وجدهُ ضعيفاً. وفي العدد الثاني جاءنا الكاتب باقوال الدستور الماسوني عن وجود الله وخلود النفس كأنّنا لم ننقلها سابقاً في كراريسنا ولم نكذبها صريحاً بعرضها على تعاليم شيوخ الماسونيّة في محافلهم ومؤتمراتهم وعلى دستورهم في فرنسة وغيرها حيث أسقط وجود الله وخلود النفس. وكذلك بيّنّا انّ كثيرين من الداخلين في الماسونيّة انخدعوا بها ولم يعرفوا شيئاً من اسرارها فذكر الجريدة الماسونيّة لمثل هؤلاء المغرورين او المتعرضين لا يدلُّ مطلقاً على شرف الماسونيّة فان كان هذا جواب الماسون فالاولى بهم ان يكتفوا بالسبّ والطعن كما فعلوا قبلاً وكما فعل مؤخّراً صاحب الرغائب في طرابلس (في العدد ١٥٧) وبعض الماسون من اصحاب جرجي حدّاد في ريو دي جانيرو بكتاب شرّفونا به في الاسبوع الماضي فسطّروهُ بقلم مخطوط في « بواليع » المشيرة عنوانهُ « الاب لويس شيخو الشيطان الكافر الخنزير ». فلعمري ان هذه

الشتائم هي الجواب اللائق بمن لا جواب عنده وكل اناء ينضح بما فيهِ

تنصّل اهل جبيل — كتب الينا بعض اهل جبيل يتنصّلون مما أساء بهِ ماسون عمشيت الى حضرة الاب بولس الماقوري المرسل اللبناني الجليل فشكرنا لهم ترفعهم عن الدنايا واثنينا عليها وتمنّينا لو تشبّه جيرانهم بهم فتُمحى آثار الماسونيّة من بين ظهرانيهم

اسئلة واجوبة

س سألنا احد المستشرقين في رومية: ١ ماذا نعرف عن أفنون التغلبي. ٢ لاي سبب دُعيت بعض مجاميع الشعر بالحماسة. ٣ ما الفرق بين الجذام والبرص. ٤ ما هي الثياب المروقة بالانبجانية وما هو الديباج الخسرواني

افنون التغلبيّ — الحماسة — الجذام والبرص — الانبجانيّة — الديباج الخسرواني

ج ١ يجد السائل في كتابنا الشعراء النصرانيّة (١٩٤ — ١٩٦) ترجمة افنون التغلبيّ — ٢ كتبنا فصلاً مطولاً في الحماسات واصلها (في المشرق ١٣: ٥٢٧ — ٥٣١) — ٣ الجُذام (éléphantiasis) نوع من البرص يفسد منهُ الدم فتتنفخ الاعضاء وتسودّ وتتقطّع اطرافها امّا البرص (lèpre) فلا تتنفخ منهُ الاعضاء بل تبيضّ وتتكشط كفلوس السمك — ٤ الانبجانيّة ثياب غليظة من الصوف منسوبة الى منبج على غير قياس فيقال كساء انبجاني ومنبجاني (اطلب تاج العروس في مادّة نبج ومعجم البلدان لياقوت ٤: ٦٥٥). امّا الديباج الخسرواني فنوع من الخزّ الفاخر منسوب الى خسروشاه من اكاسرة العجم (كذا قال الزمخشري في التاج)

س وسأل من الناصرة حضرة الخوري يوسف الحاروني ايجوز لكاهن يُسمح لهُ بتقديس قدّاسين ان يأخذ حسنة احد القدّاسين ويقدّم الثاني لوفاء التزام آخر

حسنة قدّاسين في يوم واحد

ج لا يجوز لمن يُسمح لهُ بتقدمة الذبيحة مرّتين في بعض الامكنة ان يقبل غير حسنة قدّاس واحد امّا القدّاس الثاني فيجوز لهُ ان يفي بهِ المفروضات التقويّة التي يشترك بها بعض الكهنة والمؤمنون للتقديس على نيّة بعضهم بعضاً كما ورد جواب في ذلك من المجمع المقدّس في ١٤ ايلول سنة ١٨٧٨ ل.ش